ثقافات الشعوب

@ketab_n
6.12.2014

@ketab_n

مملكة الزهرة السوداء

حكايات شعبية من الصين

جمع: ريف. جيه ماكجوان ، دي. دي.
ترجمة: خلود الخطيب

مملكة الزهرة السوداء

حكايات شعبية من الصين

جمع:
ريف جيه ماكجوان دي.دي.

ترجمة:
خلود الخطيب

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

Twitter: @ketab_n

مملكة الزهرة السوداء

حكايات شعبية من الصين

Twitter: @ketab_n

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

مملكة الزهرة السوداء: حكايات شعبية من الصين.

© حقوق الطبع محفوظة

هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)
الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

GR335.M28412 2009
Macgowan, J, (John), 1922
[Chinese folk-lore Tales]

مملكة الزهرة السوداء: حكايات شعبية من الصين/ جمع ريف جيه ماكجوان دي.دي. ترجمة: خلود الخطيب- ط.1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
144ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 978-9948-01-511-6
ترجمة كتاب: Chinese folk-lore Tales
1 - القصص الشعبية الصينية. 2 - الحكايات الصينية. أ- الخطيب، خلود. ب- العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبو هواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التتان

كلمة KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+

www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما تعبّر آراء الكتاب عن مؤلفها.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لكلمة

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم	9
انتقام الآلهة	11
الرجل الرائع	26
إله المدينة	53
مأساة أسرة السيد "ين"	71
سام تشونغ وشيطان الماء	98
مكافأة الفضيلة	119

Twitter: @ketab_n

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها - مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة - تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في أقاصي الغرب، أو

Twitter: @ketab_n

شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

تقديم

نتعرف في الحكايات الصينية الشعبية هذه على أحد أبرز الأدوار التي اضطلعت به الحكايات على مرّ التاريخ، وهو الدور التعليمي التربوي، الذي يهدف من خلال قصص تقترب إلى حدّ ما من واقع الحياة اليومية، التي فيها الطيب والشرير، والثري والفقير، والجميل والقبيح.. إلخ، تهدف إذن إلى الإضاءة على القيم الإنسانية الأساسية، من قبيل العدل والحب والرحمة والخير، وإبراز مساوئ المشاعر التي من شأنها إفساد القلب البشري من قبيل الحسد والغيرة والغضب والظلم. ولعلّ المميز في هذه الحكايات هو أنها تقوم بتوظيف الماورائيات، وتحديداً مختلف الآلهة الذي يراقبون أعمال البشر ويتدخلون فيها أحياناً، لخدمة هذه القيم النبيلة التي تريد إيصالها. فإذا انتصر الظالم في هذه الدنيا، لن يكون مصيره الهلاك في الدنيا الأخرى فحسب، بل إن الآلهة تتدخل لضمان أن ينال الجزاء المناسب على فعلته في الدنيا أيضاً.

Twitter: @ketab_n

نتعرف في هذه الحكايات أيضاً على الشخصية الصينية خاصة، والشرقية عامة، والتي بقدر ما تقدّس الآلهة وترتبط بعالم الماورائيات ارتباطاً حميماً وخاصاً، فإنها تقدس التقاليد التي نجدها تتجاوز الحدود الاجتماعية المرسومة، كأن يضطر الحاكم إلى تزويج ابنته من رجل فقير فقط لأن كرة الصوف التي حاكتها ابنته ورمتها من النافذة وقعت على هذا الرجل. وهذه القيم تنسحب على مبادئ الشرف من قبيل عدم الخيانة والالتزام بالوعد ونصرة الحق بأي ثمن كان، وما إلى ذلك.

حكايات تنبع من هذه القيم الإنسانية العامة وتسعى إلى حمايتها، من دون أن تنسى أن الأهم في الحكاية أن تتمكن من جذب المستمع (أو القارئ) وإمتاعه وربما جعله ينسى هموم الحياة اليومية لبعض الوقت، وهذا ما تنجح فيه بامتياز هذه المختارات الحكائية من أرض الصين الواسعة.

خلود الخطيب

Twitter: @ketab_n

انتقام الآلهة

في أحد المعابد الواقعة في شمال الإمبراطورية، كان يعيش كاهن ذائع الصيت يدعى هين تشونج انتقلت شهرته إلى كل الأرجاء لا لتقواه فحسب، بل للقوى الفائقة للطبيعة التي كان يمتلكها والتي أظهرها للعيان على الملأ في العديد من المناسبات والمواقف. ولقد كان من الممكن أن يفتر حماس الناس له وإعجابهم به وبإمكاناته إذا أدركوا أن هذا الرجل حليق الرأس مهيب المحيا نادر البسمة الذي يرتدي معطفًا رماديًا طويلاً هو في واقع الأمر حاج في طريقه للفردوس الغربي الذي كان يأمل في أن يدركه في الوقت المناسب ويتحول إلى جني هناك.

وذات مساء، غلب هين تشونج النعاس في غرفة تشرف على القاعة الرئيسية التي قبعت فيها صورة إلهة الرحمة العظيمة بوجهها المتسامح الرءوف في وسط الظلمة الشديدة التي خيمت على المعبد. وفجأة وجد أمامه مباشرة كيانًا مهيبًا لم ير له مثيلاً من قبل؛ رجلاً ملكي الملامح كما لو كان الحكم عادته والسلطة صولجانه. وكان يزين رأسه تاج ولباسه ليس من النوع الذي

Twitter: @ketab_n

يمكن أن يسمح لعامة الناس بارتدائه قط.

ولأول وهلة، حدق هين تشونج فيه مشدوهًا مذهولاً، ومال به الظن في البداية إلى أن هذا الرجل روح شريرة تنكرت في تلك الهيئة البارعة لكي تخدعه. وبينما عبرت هذه الفكرة مخيلته، سالت دموع الزائر الغامض وأخذ ينتحب بشدة. لقد كان من المؤسف حقًا أن يرى المرء هذا الشخص الملكي الهيئة متأثرًا إلى هذه الدرجة من الأسى حتى أن الدموع جرت غزيرة على وجنتيه، وبالرقة المعهودة من هين تشونج أعرب عن خالص تعاطفه ومواساته لهذا الأسى العميق.

وبدأ الزائر في سرد قصته قائلاً: «منذ ثلاث سنوات، كنت حاكم مملكة الزهرة السوداء. وكنت مؤسس سلالتي الحاكمة وقد رسمت طريقي في هذه الحياة بنصل سيفي وحولت هذه المدينة الصغيرة إلى مملكة مهيبة. ولفترة طويلة من الوقت، عشت سعيدًا هانئاً، ودان لي شعبي بالولاء والإخلاص. و لم أكن أتخيل المآسي التي كان القدر يخبئها لي في المستقبل، ولا الكوارث التي كانت في انتظاري عما قريب.

«فمنذ خمس سنوات، اجتاح مملكتي جفاف كاسح، بعد أن ضنت السماء علينا بأمطارها، وجفت منابع الجداول التي كانت

Twitter: @ketab_n

تسيل من أسفل جوانب الجبال وتسقي الوديان. وفي كل مكان، ماتت المحاصيل، واكتوت الأعشاب التي كانت ترعى عليها الأنعام بحرارة الشمس الملتهبة حتى ذوت وذبلت تدريجيًا.

«وعانى عامة الناس الأمرين بسبب ضيق ذات اليد وغائلة الجوع، وكثير من أفقر الناس لقوا حتفهم بسبب المجاعة. وكان هذا مصدر حزن شديد بالنسبة إلي، فكنت في كل يوم أتضرع وأبتهل على أمل أن تصل دعواتي إلى السماء كي ينزل المطر فيروي الأرض العطشى وينقذ شعبي من الهلاك. ولقد كنت على يقين من أن هذه المحنة التي أنزلتها الآلهة على شعبي عقابًا على ذنب اقترفته وإثم ارتكبته، فامتلأ قلبي بالندم.

«وذات يوم، بينما كنت غارقًا حتى أذني في القلق والتوتر، حضر رجل دون موعد إلى قصري وتوسل إلى وزرائي أن يجتمع بي. وزعم أنه من المهم جدًا أن يراني إذ أنه توصل إلى خطة يستطيع من خلالها إنقاذ المملكة من هذه الكارثة. فأمرت أن يدخل إلى مجلسي في التو واللحظة. وعندما سألته إذا ما كان في مقدوره أن يأمر السماء فتنزل مطرًا على الأرض القاحلة؟

فأجابني الزائر بقوله: «نعم. وإذا تفضلت وسرت معي إلى شرفة قصرك، سأبرهن لك على أنني أملك القدرة على ذلك وأكثر أيضًا».

Twitter: @ketab_n

وإذ خطا الزائر بخطوات سريعة إلى الشرفة التي تطل على العاصمة والتي يمكن للمرء منها أن يرى التلال البعيدة في الأفق، رفع الضيف الغريب يده اليمنى إلى السماء وتمتم بكلمات لم أفهم منها حرفًا واحدًا.

«وفجأة، كأنما عمل من أعمال السحر قد تم بالفعل، طرأ تغير طفيف على الجو فصار لون السماء داكنًا، وتجمعت كتل هائلة من الغيوم حتى غشت الشمس. وبدأ الرعد يزأر، وتجلت صواعق البرق بطول السماء وعرضها، وقبل مرور ساعة واحدة، نزل سيل من الأمطار على الأرض العطشى وانتهى الجفاف العظيم.

ولقد كان امتناني لهذا الغريب الغامض لإنقاذه مملكتي شديدًا حتى إنني لم أعز عليه أي رجاء. فمنحته غرفًا في قصري ينعم بها، وعاملته معاملة الند. وكنت أشعر تجاهه بأصدق المشاعر، وبدا هو من جانبه لا يقل إخلاصًا عني ويبادلني حباً بحب.

«وذات صباح، ذهبنا للتريض أنا وهو ويدانا متشابكتين في الحديقة الملكية. وكانت ثمار الدراق قد نبتت من فورها، فاستمتعنا بعطرها. وطفقنا نجول بين الأشجار التي فاحت منها روائح عطرة ومذهلة.

«وفي أثناء مسيرتنا، عثرنا على بئر خفي عن الأعين بفعل

Twitter: @ketab_n

مجموعة من أشجار الدفلى. ووقفنا للحظة نسبر أغوار عمقه ونحاول أن نرى منظر المياه المظلمة في قاعه. وبينما أحدّق في البئر، دفعني صديقي دفعة مفاجئة، فسقطت إلى القاع. وما إن اختفيت عن الأنظار، حتى جاء بحجر ضخم وغطى به البئر، ثم أتبع ذلك بتغطية البئر بطبقة سميكة من التراب غرس فيها شجرة موز صغيرة تحولت بفعل إمكاناته السحرية الهائلة إلى شجرة ضخمة في غضون ساعات قلائل. ولقد رقدت جثة هامدة في قاع هذا البئر منذ ثلاث سنوات و لم يأخذ أحد بثأري أو ينقذني منذ ذلك الوقت».

وعندئذ بادره هين تشونج بالسؤال: «ولكن، ألم يبذل وزراؤك أي جهد طوال هذه السنوات الثلاث للعثور على مليكهم المفقود؟ وماذا عن زوجتك وعائلتك؟ هل سلموا باختفائك هكذا ببساطة من دون أن يبدوا أي اعتراض على هذا التواطؤ يدوي صداه في المملكة بأسرها؟ يبدو غريبًا بالنسبة لي أن يختفي ملك من قصره من دون أن ينادي أحد بحل هذا اللغز والانتقام من هذا القاتل اللعين».

فأجابت روح الملك الميت: «في هذه المرحلة كشف عدوي اللثام عن خبثه. فالسبب في أن أحدًا لم يشك في أي خيانة هو أنه حول هيئته بسحره العظيم إلى هيئتي أنا. فظن الناس أن الرجل

Twitter: @ketab_n

الذي أنزل المطر وأنقذ البلاد من الجفاف والمجاعة اختفي، وأنني أنا الذي أحكم المملكة كسابق عهدي. و لم يساور أحد من شعبي أي شك، ومن ثم فإن المغتصب آمن في مكانته التي يحتلها الآن».

واستفسر هين تشونج متسائلاً: «ولكن، ألم تحاول أن تلتمس مساعدة الإله يام لو حاكم أرض الأرواح؟ فهو أفضل من يثأر للذنوب والجرائم التي ترتكب على الأرض، والآن وقد صرت روحًا فإنك تحت وصايته وينبغي أن تتقدم بشكواك إليه وترجوه أن ينتقم للمعاناة التي عانيتها قصراً».

فأجابت الروح بسرعة: «إنك لا تعي الأمر. فالشخص الذي أنزل بي هذه المعاناة على الأرض في حياتي روح شريرة. ولا يوجد شيء مشترك بينه وبين البشر، ولكنه هرب من المكان الذي تحبس فيه الأرواح الشريرة لينتقم مني لجرم ارتكبته في الماضي. ولذا فهو على دراية بخدع وألاعيب العالم الشيطاني، كما أنه على علاقة طيبة بحكام هذا العالم ومن بينهم يام لو نفسه. علاوة على ذلك، فهو صديق إله العاصمة التي أسكنها، ولذا لن ينصت أحد ممن لهم الحكم والسلطة في أرض الموتى إلى شكواي.

«وهناك سبب آخر قوي لتجاهل أي طلب للقصاص من جانبي ألا وهو أن روحي لا زالت معلقة بجسدي حتى الآن داخل البئر. ولن تقبل محاكم العالم السفلي قضيتي لأنني ما زلت

Twitter: @ketab_n

أنتمي إلى هذا العالم الذي لا سيطرة لهم عليها».

واستطرد الزائر حديثه قائلاً: «أسرّت لي روح صديقة اليوم فقط بأن سجني في البئر أوشك أن ينتهي. ولقد نصحتني هذه الروح أن ألتمس إليك لأنك تملك قوى أقوى من تلك التي يتمتع بها عدوي، وأنك إن مارستها ستحرر من تأثيره الشرير».

ولقد أرسلت إلهة الرحمة عددًا من الأرواح المعروفة إلى هين تشونج وسخرتهم لحمايته وقت الحاجة. وعلى ذلك، ففي الصباح التالي، استحضر هين تشونج أحد أمهر تلك الأرواح ويدعى هينج لاستشارته حول كيفية تحرير الملك من الأسر الذي ظل فيه لمدة ثلاث سنوات كاملة.

وعندها أجاب هينج: «أول ما يجب أن نفعله هو أن نستقطب الوريث الشرعي للعرش إلى جانبنا. ذلك أن الشك كان يساوره بسبب بعض أفعال أبيه، ومن بينها أنه لم يسمح له برؤية أمه لمدة ثلاث سنوات. وكل ما نحن بحاجة إليه الآن تقديم دليل مادي يقنعه بأن أمراً غامضاً يجري في القصر، وسنضمه إلى صفنا ويصبح حليفًا لنا».

واستطرد هينج قائلاً: «لقد حالفني الحظ إذ عثرت على شيء مفيد جدًا سيساعدنا على حث الأمير على الإنصات إلينا فيما يتعلق بأبيه. وربما أنت نفسك لا تدري هذه الحقيقة، ولكن في

Twitter: @ketab_n

الوقت الذي تم فيه إلقاء الملك في البئر، اختفى خاتم الملك بشكل غامض، واستدعى الأمر صنع خاتم جديد.

«وعندما علمت أنك سوف تستدعيني لمناقشة هذه المسألة، نزلت فجر هذا اليوم البئر وعثرت على الخاتم في جثة الملك. وعلينا الآن أن نضع خطة تساعدنا على التأثير على ابن الملك لإنقاذ الأب. ولقد تناهى إلى مسامعي أن الأمير سيخرج للصيد في التلال المجاورة غداً. وفي أحد الوديان المجاورة، يقبع معبد إلهة الرحمة، وإذا أخذت هذا الخاتم وانتظرته هناك، أعدك أن أجد طريقة لإغرائه بدخول المعبد.

وفي اليوم التالي، خرج وريث عرش مملكة الزهرة السوداء للصيد في موكب مهيب في التلال التي تطل على العاصمة.

وقبل أن يصل الموكب إلى منطقة الصيد، حدثت جلبة شديدة بسبب ظهور أرنب وحشي مهيب المنظر. لقد كان حجمه أضخم من أقرانه من الأرانب، ولكن السمة المميزة له هو لونه الناصع البياض كالثلج.

وما إن رأته كلاب الصيد، حتى أخذت تنبح وتركض سعيًا وراءه. ولم يبد على الأرنب أي ذعر، ولكنه برشاقة يحسد عليها أخذ يقفز هنا وهناك حتى تجاوز ببساطة أسرع الكلاب الساعية خلفه. وبدا

Twitter: @ketab_n

واضحًا أن الأرنب يستمتع بتفوقه على الكلاب التي أثارتها رؤية الفريسة قريبة منها دون أن تتمكن من الإيقاع بها قط أكثر وأكثر.

وكان هناك أمر آخر مثير للحيرة، ألا وهو أن هذا الأرنب لم يبد أن لديه رغبة في الهرب من الأساس، إذ لم يستغل الحفر أو الأجمة لإخفاء مساره الذي ينوي الهرب منه. وتمكن الأرنب من ألا يبعد عن نظر الكلاب طوال الوقت، وعندما تعين عليه أن يتخذ منعطفات مفاجئة في الطريق المنحني الذي يؤدي إلى الوادي حيث المعبد الشهير، تردد بعض الشيء وسمح لكلاب الصيد من الدنو منه بشكل خطير، وفجأة وعندما أصبحت الكلاب قاب قوسين أو أدنى من الأرنب، انطلق بسرعة البرق مخلفاً إياها وراءه بمسافة بعيدة.

و لم يكن الصيادون يدركون أن هذا الحيوان الجميل الذي ظلوا يستمتعون بمطاردته طوال هذه المدة ما هو إلا الجني هينج الذي تنكر في شكل أرنب بري لإغراء الأمير بالدخول إلى المعبد المعزول في الوادي النائي حيث يمكن أن يطلع على قصة خيانة والده بعيدًا عن سمع قاتله، وأن توضع له خطة لاسترداد العرش المسلوب.

وبعد أن بلغ الأرنب العجيب المعبد، اختفى بالسرعة التي ظهر بها، و لم يترك أثرًا تستدل به الكلاب الهائجة التي ظلت

Twitter: @ketab_n

تروح وتجيء وتتحسس رائحته عليه.

وترجل الأمير الذي كان تابعًا مخلصًا لإلهة الرحمة ودخل المعبد حيث شرع في إشعال البخور أمام مقامها وأخذ يدعوها متضرعًا كي تنعم عليه بالفضائل والبركة.

وبعد فترة من الوقت، فوجئ الأمير عندما وجد رجل الدين المنوط به خدمة المعبد واقفاً في زاوية بعيدة مظلمة وعيناه على الأرض مفشيًا بنظرته التي لا تضارعها أي نظرة أخرى جدية هيبته في المكان بدلاً من أن يتواجد في حضرة الأمير ويقوم على خدمته ويقدم له فروض الولاء والطاعة.

ولذا، بعد أن أنهى الأمير ابتهالاته للآلهة، دنا من رجل الدين وسأله برقة ما إذا كان هناك أمر ما يؤرقه.

عندئذ أجاب هين تشونج قائلاً: «نعم، وهو أمر يمس سموك بشكل مباشر. وإذا ما تكرمت ودخلت معي حجرتي الخاصة، فسأحاول أن أفسر لك الأمر الذي قض مضجعي وأصابني بالهلع».

وعندما دلفا إلى حجرة رئيس الدير، ناول هين تشونج الأمير صندوقًا وطلب إليه أن يفتحه ويفحص الغرض الذي بداخله.

Twitter: @ketab_n

ويا للدهشة التي ارتسمت على محيا الأمير عندما أخذ الصندوق وألقى نظرة عابرة داخله. ومن هول الموقف، صاح قائلاً: «هذا الخاتم الملكي العظيم الذي فقدناه منذ ثلاث سنوات و لم نعثر له على أي أثر و لم يستدل أحد عليه. هل لي أن أسأل كيف صار بحوزتك، وما الذي منعك من رده إلى الملك الذي كانت جل أمانيه أن يسترده؟».

فأجابه هين تشونج : «إن الإجابة عن هذا السؤال طويلة، وإذا أردت إجابة شافية يجب أن أخوض في التفاصيل».

وهنا بدأ هين تشونج في رواية القصة على الأمير منذ الزيارة التي قام بها أبوه له في منتصف الليل، ورواية قتله على يد الرجل الذي ينتحل الآن صفة الملك، وطلبه من هين تشونج أن ينقذه من ويلات البئر الذي سجن فيه لمدة ثلاث سنوات.

وتابع قائلاً: «أما بالنسبة لمسألة عثوري على الخاتم، فسيصف لك خادمي هينج الحاضر بيننا الآن كيف أنه نزل إلى البئر مستعينًا بالقوى الخارقة التي يتمتع بها صباح هذا اليوم وعثر على الخاتم الملكي في جثة أبيك».

«إن لدينا هذا الدليل الدامغ على أن الرؤية التي رأيتها منذ

Twitter: @ketab_n

يومين لم تكن محض خيالات رسمها العقل الباطن، ولكنه كان الملك الذي جاءني ورجاني أن أنقذه من براثن هذا العدو الذي يتمتع بقوى خفية ويبدو عازمًا كل العزم على تدميره والقضاء عليه».

ثم استطرد قائلاً: «يجب أن نتصرف وبسرعة، ذلك أن الشخص الذي يدعي أنه حاكم مملكتك لا حدود لسلطانه وقدراته، وما إن يعلم أن أمره قد انكشف وأن ستره قد هتك، حتى يسخر كل طاقاته لإحباط خطتنا. وأنا أقترح يا سمو الأمير أن ترسل الجزء الأكبر من موكبك إلى القصر وتدعي أنك ستمضي الليلة هنا في خدمة الآلهة التي يوافق عيد ميلادها اليوم. وبعد أن يغلف الظلام المملكة، سينزل خادمي هينج إلى البئر ليستعيد جثة أبيك. وحينئذ سيكون بين يديك الدليل الدامغ على الأمر كله، ويمكننا أن نضع خطة لما يمكن أن نفعله لاحقًا».

وبالفعل، بعد منتصف الليل بفترة وجيزة، وبعد أن أنجز هينج المهمة الموكلة إليه بكل إخلاص وتفان من قبل هين تشونج، وصل حاملاً جثة الملك وأودعها بكل الاحترام والإجلال الذي يليق بملك في إحدى الغرف الداخلية للمعبد. كما نجح هينج كذلك بقواه العجيبة وبمساعدة قوى أخرى خفية تمكن من استحضارها

Twitter: @ketab_n

في نقل الجثة من المكان البائس الذي استقرت فيه لفترة طويلة إلى معبد إلهة الرحمة الودودة.

وفي تلك الأثناء، تأثر الأمير أيما تأثر عندما وقعت عيناه على جثة أبيه. ومن حسن الطالع أن الجثة لم يطرأ عليها أي تغيير و لم تتأثر منذ اليوم الذي ألقيت فيه في البئر. و لم تظهر على محيا الملك النبيل أي علامة على التحلل. وبدا كأنه يغط في نوم عميق، أو أنه على وشك أن يستيقظ الآن ليتبادل أطراف الحديث معهم كما كانت عادته.

إن حقيقة عدم مفارقة الروح للجسد بشكل غامض قط هي التي أبقت الجثمان على حاله تلك. ومع ذلك، فقد بدا واضحًا أن الملك ميت وظل السؤال الأهم معلقًا الآن: كيف تمكن إعادته إلى الحياة وإلى أسرته ومملكته؟

وهنا قال هين تشونج: «إن الوقت قد حان، فإذا ما كان مقدراً للملك أن يعود للحياة مرة أخرى، يجب أن نستحضر روح البطولة مجددًا. لقد تقدم إليّ بالتماس يائس منذ يومين كي أنقذه بعد أن أخبره أحد الآلهة أنني الشخص الوحيد الذي يستطيع مساعدته. وحتى الآن، تمكنا من إنقاذه من سلطان الشيطان الذي دبر لقتله، ولقد خطر لي الآن أن نحضر للملك ترياقًا يعيد إليه القوى الحيوية ويجعله إنسانًا حيًا مرة أخرى.

Twitter: @ketab_n

«والحق يقال، فإنه لم يسبق لي أن قمت بهذه التجربة الخطرة من قبل، ولكنني حصلت من بطريرك المعبد الطاوي[1] على قنينة من إكسير الحياة الذي من خصائصه العجيبة إطالة عمر أي إنسان يتجرعه. هلموا بنا لنجربه على الملك، وبما أنه لا توجد أي علامة على تحلل جثته، لنعقد الآمال على أن يكون هذا الترياق فعالاً في إعادته للحياة».

وعندئذ اتجه هين تشونج إلى مكتبه الذي كان محكم الغلق، وأخرج قنينة سوداء صغيرة مصنوعة من الفخار أراق منها قطرة على شفتي الملك الممدد أمامه. وفي غضون ثوان معدودة، تورد وجه الملك حتى تجلت قسماته. وبعد قطرة أخرى، دبت فيه الحياة سريعًا ثم ذوت على محياه الشاحب. وبعد إراقة القطرة الثالثة، وبعد فترة وجيزة من فعل ذلك، فتح الملك عيناه، ونظر نظرة المتسائل نحو الجمع الذي أحاط به.

وبعد إراقة قطرة أخرى أفاق بعدها الملك وقام من رقدته واستفسر عن المدة التي ظل خلالها نائمًا، وكيف انتهى به المطاف إلى هذه الغرفة الصغيرة بدلاً من قصره المهيب.

وسرعان ما عاد الملك إلى أهله، وتقلد منصبه في المملكة، أما

(1) نسبة إلى مذهب الطاو أو التاو (م).

Twitter: @ketab_n

المغتصب الغادر فبعد أن أقدم على محاولتين أو أكثر لاستعادة قواه السحرية دون جدوى، فقد فر هاربًا من البلد.

وبعد فترة وجيزة، التقى هين تشونج الملك على انفراد. فقال الأول للملك: «إنني حريص على أن تدرك سموك السبب وراء هذه النكبة التي لحقت بك. فلقد علمت أنك منذ عدة سنوات، ومن دون أي مسوّغ، حكمت على راهب بوذي بالموت. و لم تبد أي ندم على الجرم الذي اقترفته، فأنزلت الآلهة عقابها عليك وأصابت المملكة بالجفاف. ولكنك أصررت على عنادك و لم تبد أي ندم على ما فعلت، فأرسلت لك الآلهة أحد وزرائها ليقتص منك، فحرمك من بيتك وأهلك ومنزلتك الملكية. إن الرجل الذي دفع بك في غياهب الجب كان ينفذ أوامر الآلهة لا أكثر ولا أقل. وكانت السنوات الثلاث التي أمضيتها في قاع البئر جزءًا من عقابك الذي أقرته الآلهة، وعندما حان الوقت، سمح لي بأن أطلق سراحك. إن الملوك ورعاياهم على حد سواء يخضعون لقانون الحق العظيم، وإذا انتهكوه، يجب أن يعانوا الأمرين مثلهم مثل غيرهم من الناس. إنني أحذر جلالتك من أنك لو لم تقدم دليلاً على ندمك على قتل هذا الرجل من دون وجه حق، ستلاحقك ويلات أخرى في المستقبل لا محالة».

Twitter: @ketab_n

الرجل الرائع

يُحكى أنه كانت هناك إحدى مدن المقاطعة التي يحكمها أحد الولاة في جنوب الصين، واكتسبت هذه المدينة شهرة واسعة ميزتها عن سائر المدن والقرى الواقعة داخل نطاق الإمبراطورية العظيمة.

فمن ناحية الشكل الخارجي، تشبه هذه المدينة كافة المدن والقرى الصينية الأخرى وتتساوى جميعها لجهة الحجم والمساحة، إذ تعج تلك المدينة بالشوارع الضيقة، وتتراص فيها المنازل على مقربة من بعضها بعض إلى الحد الذي يجعلها تبدو كائناً واحداً، ويتم استغلال كل مساحة داخل المدينة، ولا توجد أي مساحة لتوصيل مجاري الصرف الصحي أو إقامة المتنزهات والمساحات المفتوحة أو الساحات الخضراء، حيث يمكن للسكان تنفس بعض الهواء النقي، وتعد الأمور السابقة مستحدثة من الغرب وبالتالي لم تخطر قطّ ببال سكان الشرق، إذ تعتبر الحرارة القاسية ولهيب الشمس والهواء النتن والمساحات الضيقة الخانقة ميراثاً طبيعياً تتوارثه الأجيال المتعاقبة من الرجال والنساء والأطفال الذين احتشدوا جميعا فملأوا المدن وأخذوا يتدافعون وسط الزحام

Twitter: @ketab_n

ويدفعون بعضهم بعضاً بالأيدي في خضم معركة الحياة الطاحنة.

ورغم ذلك كله، كان هناك أمر واحد يمجد هذه المدينة، فقد اكتسبت سمعة واسعة في مجال التعليم واشتهرت بكونها معقلاً للعلم والعلماء.

وفي الشوارع الرئيسية بالمدينة، تميز بعض الرجال المهرة البارعين الذين يتمتعون بخبرة واسعة بالقدرة على تجنب الصراع اليومي والاصطدام بالمارة والتدافع بالأيدي وسط زحام الشوارع والحياة، كما تميز أيضاً الطلاب بتلك القدرة، فبدوا في مظهر رائع بعباءاتهم الطويلة وأعدادهم الهائلة، فقد شكلت وجوههم الشاحبة بفعل كثرة الدرس والعلم والمذاكرة مع عيونهم السوداء المتلألئة التي يتألق فيها وهج الخبرة والتفكير سمة مميزة لهم عن غيرهم من الناس كالفلاحين والمزارعين والعمال المهرة وغيرهم من العمال وحاملي المحفات المصنوعة من الخيزران، بملامحهم الحادة وطباعهم الفظة وملابسهم المعتادة والذين كانوا يجوبون أركان المدينة ذهاباً وإياباً جنباً إلى جنب هؤلاء الطلاب والعلماء.

وإلى الأسفل قليلاً، حيث تمكن رؤية طرق الأزقة الضيقة، وتحيا الروائح النتنة والهواء غير النقي فتنمو وتستمر طيلة النهار والليل، يمكن لأي إنسان سماع الأصوات الحادة للشباب من الطلاب

Twitter: @ketab_n

المفعمين بالحيوية والحماس والنشاط والذين يتلقون دروسهم في غرف غير صحية لا تحتوي حتى على أقل قدر من التهوئة الجيدة، فيجيدون فنون الكلاسيكيات الصينية القديمة، حتى يمكنهم في وقت محدد فيما بعد التنافس وخوض الاختبارات التي تجرى كل ثلاث سنوات لحصد الجوائز التي تقدمها الإمبراطورية للنوابغ والمبدعين من طلابها وعلمائها.

وكانت الرغبة في التعلم والدرس السمة السائدة في المدينة فكان يتنسمها ويتنفسها الجميع ضمن ذرات الهواء المعتادة، وبينما كان هناك عابر سبيل في وقت متأخر يسير هائماً على وجهه بلا وجهة أو هدف محدد وأخذ يطوف في متاهة الشوارع المتشابكة الضيقة خلال الساعات الأولى من الصباح الباكر، كان الرجل يستمع إلى أصوات الطلاب وهي تشق جدران الصمت المقدس العميق الساكن المدينة في هذا الوقت المبكر، إذ ردد جميع الطلاب بأعلى صوت مؤلفات أعظم الكتاب الصينيين القدماء.

ونتيجة لذلك، كان لهذه المدينة تقدير من نوع خاص وحب شديد في قلب إله الآداب، الذي كان دائماً في وضع استعداد دائم لمناصرة وتأييد القضايا التي تتعلق بالطلاب، إذا تجرأ أي شخص على مجرد التفكير في ظلمهم أو إيقاع الأذى بهم أو

Twitter: @ketab_n

الاستحواذ على الميزات المخصصة لهم.

وتحكي إحدى الأساطير القديمة عن معتقد شائع بين أهالي هذه البلدة، إذ اعتقد في سالف الأزمان – أثناء تجمع الطلاب من خمس مقاطعات مختلفة داخل الإمبراطورية للخضوع لأحد الاختبارات التي يتم إجراؤها على نحو دوري كل ثلاث سنوات – بوجود بعض الكراهية والحقد بين الطلاب الممتحنين المتنافسين خاصة من هذه المدينة بالتحديد، بالحكم عليهم جميعاً بالرسوب في الاختبار.

وبمجرد انتهاء الممتحن الإمبراطوري، من جمع أوراق إجابات هؤلاء الطلاب، قام بوضعها في حرص شديد وسط كومة من الأوراق الموجودة إلى جواره على المنضدة، وفي تلك اللحظة، شعر إله الآداب، الذي كان جالساً في ضريحه بأقصى ركن داخل الغرفة، بالسخط والغضب نتيجة الإهانة التي أوشك هذا الممتحن على توجيهها لطلابه المدعومين بحبه ورعايته، فتمتم ببعض العبارات المعروفة بصوت خافت، ليمنع تسلل هذا الظلم عن الطلاب طالما لديه القدرة على ذلك.

ولقد تم الانتهاء من مراجعة وفحص ورقة الإجابة الأخيرة ووضعها في حرص شديد فوق كومة الأوراق الأخرى، وهي

Twitter: @ketab_n

تلك اللحظة نفسها التي مرت كلمح البصر فأصيب الممتحن الإمبراطوري بنوبة من الشلل ففقد على الفور كامل قدرته على الحركة وسقط مغشياً عليه على الأرض، فكان ذلك عقاب إله الآداب ورده السريع على خطط الممتحن الآثمة ونواياه الشريرة.

وبدا الرعب جلياً على بقية المسؤولين عن الاختبار، وانتظر آلاف الطلاب خارج الغرفة حتى تعلن القائمة التي تتضمن أسماء الناجحين، غير أن الشخص الوحيد المسئول عن توقيع القائمة وإعلانها كان فاقداً القدرة على كل شيء بعد إصابته بالشلل، وكان لابد من القيام ببعض الإجراءات على وجه السرعة، فبمجرد أن نظر بقية المسئولين إلى أوراق الإجابة التي ترقد بلا حراك على المنضدة، اكتشفوا هناك كومة بسيطة من الأوراق التي أفردها الممتحن الإمبراطوري جانباً لغرض ما في نفسه، فاعتقد أحد المسؤولين أن هذه الأوراق تخص الطلاب الناجحين ودرجاتهم التي حصلوا عليها، وقوبلت الفكرة بالرضا في حماس واضح من الآخرين، فلم يكن هناك سبب آخر لأي تأخير، فنسخت أسماء الطلاب أصحاب أوراق الإجابة بسرعة شديدة ووضعت على اللوحة في مدخل قاعة الاختبارات.

وانتابت حشود الطلاب المتنافسين دهشة كبيرة، حين

Twitter: @ketab_n

عرفوا أن الناجحين هم الطلاب المنتمون إلى المدينة المفضلة لإله الآداب، فكانت تلك هي العلامة الثانية والعقاب المستحق من إله الآداب على الممتحن، الذي أراد ظلماً وطغياناً استبعادهم من شرف الوجود بين الناجحين ذلك اليوم.

وكان هناك أمر آخر يميز سكان هذه المدينة، ألا وهو مشاعر السرور التي تسيطر على قادة المجتمع في الاعتراف بمجهود هؤلاء ممن يمتازون ببعض الفضائل المدنية والذين أدوا أعمالاً خالدة استحقوا عليها التكريم والتخليد.

وخارج واحدة من البوابات الأربع وعلى بعد مسافة كبيرة من الشوارع المتشابكة الضيقة والمنازل المتجاورة التي زادت حتى صارت كفيضان ينبع من المدينة العظيمة، كانت هناك مساحة مفتوحة ذات اتساع معقول يتفرع من قلبها الطريق الرئيسي الذي يشق طريقه في خطوط متعرجة إلى القرى والمدن الصغيرة الواقعة في المناطق المجاورة ثم إلى العاصمة البعيدة بكين، التي تبتعد لآلاف الأميال في الشمال الأقصى، فكان طريقاً ممتلئاً بالمارة والمسافرين حتى إن وقع خطوات الأقدام البشرية وأصوات العربات والحافلات والمسافرين لا يكاد ينقطع فيه البتة منذ بزوغ الخيوط الأولى لضوء الفجر

Twitter: @ketab_n

حتى حلول الظلام الدامس وخلود كافة السكان إلى النوم والاحتماء بمنازل المدينة.

أما العلامة المميزة لإحدى الأراضي ذات المساحات الشاسعة غير المسكونة التي أحاطت بإحدى جوانب ذلك الطريق فتمثلت في سلسلة عظيمة من الأقواس المعمارية التذكارية التي بنيت على مقربة من بعضها بعض بمسافة معقولة، وتكونت هذه الأقواس من صخور وشرائح الجرانيت فتميز بعضها ببساطة ورقة تصميمه بينما بني البعض الآخر على طرز فنية خاصة غاية في الروعة والجمال على يد بعض الرجال المتخصصين في هذه الحرفة اليدوية الدقيقة، الذين وضعوا خطة وتصميماً واحداً وطريقة تنفيذ موحدة لكافة الأقواس، التي اختلفت فقط في زينتها وزخارفها فجاء بعضها مفصلاً دقيقاً مما يدخل البهجة والسرور إلى قلب كل من ينظر إليها.

وشُيد كل واحد من تلك الأقواس للاحتفال بذكرى أشخاص معينين قد غادروا العالم الحالي بعد أن قدموا أثناء حياتهم إسهامات عظيمة ومفيدة للمجتمع خلدت ذكراهم بعد الموت فلم يستطع أي شخص نسيانهم حتى الآن، لذا يجب أن يبقى منهم دائماً شيئاً يفيد في إحياء الأجيال الجديدة لذكراهم ليكونوا

Twitter: @ketab_n

مثالاً وقدوة يُحتذى بهما على مر العصور.

ومن بين أعظم الإنجـازات والأعمال الخالدة التي دوّنت بأحرف من نور فوق هذه الصخور الجرانيتية، نقشت أهم الأعمال والفضائل الخاصة بطاعة الوالدين وولاء الأبناء والأسرة، فقد كان هناك ابن مميز عن سائر أقرانه في حبه الشديد لوالديه وطاعته لهما حتى إنه ضحى بحياته كلها من أجل خدمتهما والبر بهما، فنحتت قصته العظيمة في كلمات خالدة ستدوم للأبد وستقرؤها الأجيال المتعاقبة على الأحجار؛ وأوضح الرمزان الغامضان «الإرادة الإلهية» المنقوشان في وسط القوس قيام الإمبراطور بالسماح ببناء هذا النصب التذكاري لتخليد واحدة من أهم وأعظم الفضائل التي يقدرها الشعب الصيني.

وعدا تلك الأقواس التي شيدت خصيصاً لتخليد ذكرى الأبناء الأبرار، بني كم هائل من الأقواس لتمجيد الأرامل اللاتي رفضن الزواج مرة أخرى بعد وفاة أزواجهن.

ففي قصة نقشت على أحد الأقواس، ورد أن إحدى الأرامل واجهت بعد وفاة زوجها ظروفاً قاسية اضطرت من خلالها إلى خوض غمار معارك وصراعات شديدة مع الحياة للتغلب على مختلف أشكال الفقر والحرمان، غير أنها امتنعت تماماً، بكامل

Twitter: @ketab_n

رغبتها، عن الاستماع إلى عروض الزواج التي تقدم بها كثير من الرجال، فلم يقو أي شيء على محو إخلاصها وولائها اللذين كانت تعتقد أنها ما تزال تدين بهما تجاه أول رجل فاز بقلبها وحبها – بعد رحيله عنها – من ذاكرتها وقلبها، وكذلك لم يتمكن أي شيء من إغوائها أو حملها على إهمال واجباتها نحو أطفالها الذين أنجبتهم من ذلك الرجل الكريم، فلم تقبل قط أن تترك واجب تربية أطفالها وتنشئتهم لأي رجل آخر على وجه الأرض، لاعتقادها أن أي زوج جديد قد يسيء معاملتهم ويقسو عليهم، كما أنه بأي حال من الأحوال لن يحمل لهم القدر نفسه من الحب والحنان والرحمة التي كنّها لهم والدهم في قلبه قبل وفاته، وبالتالي لن يكون مضطراً البتة لتقديم تلك التضحيات اللازمة لمساعدة هؤلاء الأبناء في نيل حياة أفضل وتولي المناصب الراقية.

ونتيجة لذلك كله، أصرت هذه الأم على الكفاح وتحمل كافة المصاعب والشدائد المحتملة من أجل توفير احتياجات أبنائها في مراحل النمو المختلفة؛ وفي النهاية، وبسبب المصاعب التي تحملتها الأم، برهنت على أروع مشاهد القوة والبطولة والنبل، حتى تمكن جميع أبنائها من نيل قسط وافر من التعليم ونالوا شرف خوض الاختبارات التي تجرى على مستوى الإمبراطورية

Twitter: @ketab_n

كل ثلاث سنوات.

وعند وفاة الأم، علم كبار المسؤولين في العاصمة بقصة حياتها العظيمة، فتأثر الإمبراطور بها حتى إنه أعطى موافقته على تشييد قوس لتمجيد ذكرى هذه الأم النبيلة حتى تكون سيرة حياتها نصب أعين حشود العامة التي تمر على نحو يومي من خلال القوس وتستظل به لقرون عديدة، فيقرأ الناس القصة ويعرفون معنى التضحية بالنفس ويدركون بالتالي كيف هدفت الأسر المختلفة من خلال بناء تلك الأقواس إلى تخليد ذكرى الأعمال العظيمة التي قامت بها الزوجات والأمهات أو الأبناء والآباء.

ومن بين كافة الأقواس التي انتشرت على طول الطريق، كان هناك واحد لافت للنظر أكثر من غيره في هذا الصف الطويل.

و لم تنبع أهميته من روعة الإنجازات أو الأعمال التي قام بها الشخص الذي بني القوس من أجله أو من تفرد هذه الأعمال وعدم وجود ما يماثلها أو يضاهيها على الأقواس الأخرى حتى تجتذب المارة للتوقف والتأمل في رحلة حياة تتميز بالبطولة والشجاعة.

Twitter: @ketab_n

بل على النقيض من ذلك، نجم تفرد القوس عن سائر الأقواس الموجودة بالصف من عدم تدوين أي أعمال عليه، ففي المنتصف نحتت على صخور الجرانيت كلمات مكتوبة بأحرف كبيرة بارزة تقول: «الرجل الرائع»؛ وكان ذلك كل ما احتوت عليه صخور القوس، فلم توجد أي تفسيرات أو شروح توضح ماهية ذلك الرجل الرائع؛ ولا توافرت حتى أي إشارة أو تلميح لقصة حياته المتميزة.

ويلمح الطلاب المسافرون والمارون بهذا الطريق الممتلئ بالأتربة والغبار هذه العبارة الموجزة أو النقش الغامض الذي لا يتضمن أي تفسير، ويتساءلون في الحال عن سر هاتين الكلمتين الغامضتين اللتين نقشتا على نحو غير تقليدي على صخور القوس، وعلى ذلك، فمن المتوقع قيام الطلاب والدارسين بالاتجاه نحو الجانب الآخر من القوس لعلهم يجدوا أي توضيح للعبارة الغامضة، ولمزيد من دهشتهم، يجدون الكلمتين نفسيهما منقوشتين على الجانب الآخر من القوس؛ فلا يتمكنون يتمكنوا من الوصول إلى نتيجة محددة بشأن هذا الغموض.

كما يرى أيضاً الفلاحون، الذين يسيرون في طريقهم المعتاد بينما تتدلى أطراف محاصيلهم المختلفة من المزروعات من فوق

Twitter: @ketab_n

أكتافهم على الأعمدة السميكة المصنوعة من البامبو، هاتين الكلمتين المبهمتين «الرجل الرائع»، فتعلو وجوههم نظرة من الفضول والدهشة، فلا ينتمي هؤلاء الفلاحون البسطاء بتفكيرهم الريفي الساذج إلى فئة الطلاب والعلماء من أصحاب القدرات الفكرية العميقة، ويعزى ذلك إلى حالة الفقر التي يعيشون فيها منذ الصغر والتي أكرهتهم على ترك التعليم والانصراف عن المدارس قبل التمكن من إجادة الحروف القديمة التي تتكون منها اللغة الصينية المكتوبة؛ ورغم ذلك كان بمقدور هؤلاء المزارعين قراءة مثل هذه الكلمات البسيطة، ولكن لم كانت تشير تلك الكلمتان حقاً؟ كان الفلاحون دائماً يضحكون ويتبادلون النكات والمزاح حول ماهية هذا النقش الغامض بينما يسيرون في طريقهم اليومي، فينتج عن ذلك كثير من التفسيرات الظريفة الممتعة التي قد يتم طرحها للإسهام في حل ذلك اللغز المبهم.

أما القصة الحقيقية وراء هذا النقش الغريب فهي واحدة من أروع الحكايات الرومانسية المثيرة للحزن والتعاطف.

فمنذ سنوات عديدة، وفي إحدى القرى التي تقع وراء الجبال التي تعلو سطح السهل التي بنيت فوقه المدينة، عاشت أسرة تتكون من ثلاثة أفراد؛ أب وأم وابن صغير، وقد خيم على

Twitter: @ketab_n

هذا المنزل جو رائع من السعادة والحب والرضا، فلقد أحب الأم والأب واحدهما الآخر للغاية وكثيراً ما حلما بتكوين أسرة صغيرة في إمبراطورية الصين الشاسعة التي تحتوي بين جنباتها على أربعمئة مليون مواطن حتى تحقق الحلم فبات حقيقة قائمة؛ ثم أنجبا ابناً صغيراً سيخلد اسم الأب وذكراه في المستقبل فيقدم القرابين المختلفة عند قبره لتصله أثناء إقامته في أرض الأرواح فيبقيه بعيداً عن التعرض لشبح الجوع والفقر هناك.

وكان الفقر العبء الوحيد الذي أثقل كاهل هذه الأسرة، فلم يكن هناك أدنى شك حول الفقر المدقع الذي أرّق بال أفراد هذه العائلة لسنوات طويلة وكان في ازدياد مستمر؛ وعند بزوغ الفجر كل يوم وبعد إشراق شمس يوم جديد، يشعر الثلاثة دائماً باقترابهم ودنوهم من الخط الرفيع الفاصل بين الموت جوعاً أو عيش حياة الكفاف.

وتحتوي الصين على عدد هائل من هذه المنازل الفقيرة، ولذلك، تعتبر البلاد أرضاً حقيقة يتنافس فيها الرجال والنساء على تحقيق البطولات المختلفة بهدف القضاء على براثن الجوع وغائلة الفقر والمعاناة في غمار معارك الحياة، إذ لا يستطيع عدد ليس بقليل من السكان يصل إلى الملايين في أنحاء الإمبراطورية

Twitter: @ketab_n

الكبيرة الحصول على قدر كاف من الطعام اليومي أو توفير أي كمية من الطعام أصلاً، فيقضون وقتاً طويلاً من حياتهم في الصبر على هذه المعاناة وتحملها بمنتهى القوة والجسارة إلى أن ينالوا شرف الموت في غاية الشجاعة من دون إبداء أي شكوى أو تذمر، فأصبح ذلك سباقاً معتاداً تماماً مثلما يتسابق الصينيون أثناء سيرهم اليومي في الطرقات والشوارع المختلفة.

واضطرت هذه الأسرة إلى كسب قوتها اليومي من خلال حقول زراعية متناهية في الصغر لا تنتج نادراً في أفضل الظروف إلا محصول البطاطا ليمكنهم من القدرة على مواصلة الحياة، بالإضافة إلى مجموعة قليلة من الخضروات يمكن تجفيفها وتتبيلها كل موسم، وفي حال عدم سقوط الأمطار وجفاف عروق نبات البطاطس أو احتراقها أثناء وجودها بالحقل في فترة الزراعة بفعل حرارة الشمس القاسية، كان على الزوج البحث عن وسائل أخرى لكسب العيش لسد الاحتياجات الضرورية لأهله.

ففي بعض الأحيان، عمل الزوج كحمال يستخدمه الآخرون في حمل محاصيل المزارع والحقول الأكبر حجماً لسوق المدينة الكبير الذي يبعد عن الأراضي الزراعية بحوالي عشرة أميال؛ ولكنه في تلك الظروف لا يكسب سوى ما يكفيه من النقود

Twitter: @ketab_n

التي تمكنه من توفير أقل قدر من الطعام والشراب لأسرته لمدة أسبوع أو أسبوعين على أقصى تقدير.

وفي أوقات أخرى، استطاع الرجل أن ينخرط في أعمال يحصل منها على أجر أفضل، مثل حمل المحفات الضخمة المصنوعة من الخيزران لأماكن بعيدة، قد يستغرق السفر إليها من منزله بضعة أيام، ثم يعود إلى بيته بعد ذلك حاملاً كماً أكبر من النقود فيرى في عيني زوجته التي تلمع فرحاً بهذا المكسب الكبير شعوراً عظيماً بالرضا والسرور من شأنه تقديم العون لهما على تحمل مصاعب العيش لمدة شهر آخر على الأقل في ظل توافر كم أكبر من الطعام والشراب؛ لكن مثل هذا المكسب كان غالياً إذ يناله الزوج بعد كد وعناء شديدين، فلم ينل الرجل قط أي تدريب على حمل المحفات الخيزرانية الضخمة وبالتالي لم تتوافر له المهارة أو البراعة المطلوبين لنقل القضبان المستعرضة للمحفة أثناء حملها لمسافات طويلة، فظلت تلك القضبان المستعرضة فوق كتفه، دون أن يتمكن الرجل من تبديل موضعها وتخفيف الحمل الثقيل عن نفسه. ونتيجة لذلك، يعود الزوج في كل مرة بعد أن ينتهي من رحلة حمل المحفة الخيزرانية في غاية الإعياء والإجهاد ويستمر ذلك عدة أيام مما يضطره إلى الرقود ساكناً في

Twitter: @ketab_n

سريره ويفقده القدرة على القيام بأي عمل آخر.

ومرت أيام وشهور عديدة، وأجبرته ظروف الحياة القاسية والإرهاق الشديد الذي يلاقيه في الأعمال المجهدة التي يحاول الانخراط فيها كل يوم علاوة على رداءة أنواع الطعام التي يقتات عليها هو وأسرته وبنيته الجسمية الواهنة التي لم تكن قوية ولا قادرة قط على النهوض بأعباء المزيد الأعمال الشاقة. وعلى نحو تدريجي، أصبح الرجل لا حيلة له في كسب قوته اليومي فقد تدهورت البقية الباقية من صحته فأصبح غير قادر على القيام بأي خدمة أو عمل، وفقد قدرته تماماً على أداء أبسط الأعمال وحتى تلك المهمات التي كان يقوم بها في مزرعته الصغيرة. وعلى ذلك، كانت المخاوف من مواجهة مستقبل غير مشرق وحياة أكثر صعوبة وقسوة في تزايد مستمر كل يوم، فبدأت الأماني نحو غد مشرق وحياة أفضل تهجر قلبي الرجل وزوجته حتى إنهما كادا أن يسمعا دبيب أقدام القدر القاسي تسير في اتجاههما بسرعة أكبر يوماً بعد يوم، ورغم ذلك واصل الزوجان حياتهما اليومية بمنتهى القوة والبطولة من دون أي شكوى أو ضيق أو تذمر و لم تظهر أي ملامح للحزن أو الانكسار على وجههما إلا من وقت لآخر حين فاضت عينا الزوجة بأنهار غزيرة من الدموع فقامت بإخفائها بسرعة كبيرة خشية أن يراها زوجها فتصيبه الحسرة والألم.

Twitter: @ketab_n

وفي إحدى الليالي، هبت عاصفة هوجاء من جهة الشمال الشرقي، فأطلقت الرياح صيحات ودوياً عالياً اتخذت نغمات غريبة اعتراها ألم الحزن والغم حول الكوخ الصغير، وبدا في الأفق وجود جسم متحرك كأنه روح مضطربة قلقة أطلق سراحها لتتجول في حرية فتندب في بكاء ونحيب شديدين، وكأنها تعزف سيمفونية قداس الموتى على مصير أحد الأشخاص الذي تَقَرر رحيله عن الدنيا في هذه الساعة.

ويؤمن الصينيون بوجود العديد من الشياطين التي تملأ الغلاف الجوي المحيط والتي تمتلئ قلوبها بمشاعر الحقد والكراهية والبغض للإنسان، فيكونون على استعداد دائم لإنزال الهلاك أو إيقاع الضرر بهم للقضاء على حياتهم وإنهائها، وتجتمع هذه الأرواح الشريرة دائماً عند اقتراب وقوع كارثة ما على أي منزل، حيث يقفون ويصطفون في أشكال غير مرئية ثم يحدقون بشدة في الغرفة المظلمة التي يرقد بداخلها الشخص المحتضر، فيعلنون في صخب وجلبة عن فرحهم وسعادتهم بأصوات شريرة تقذف الرعب في قلوب المحيطين بذلك الشخص المحتضر.

وساور الزوجة قلق بالغ إزاء زوجها فلم تتمكن قطّ من الخلود إلى النوم والشعور بالراحة والسكينة، وقد تسارعت

Twitter: @ketab_n

ضربات قلبها وبدأ يخفق في ألم لا يمكن وصفه أو تصويره، علاوة على شعورها بحرقة في صدرها وزيادة سرعة أنفاسها التي حاولت الزوجة عبثاً كبت جماحها مرة بعد مرة لتبرهن عن الألم الذي أخذ في اعتصار قلبها بعنف. عندئذ فحسب بدأت الزوجة تدرك أثناء هذه الليلة المأساوية الموحشة، سوء حالة زوجها وتفاقم مرضه بشدة مما قد يودي بحياته، فقد أصابها صوت زئير العواصف خارجاً والضحكات الشريرة والأصوات المرعبة للأرواح المحيطة برعب وهلع شديدين مما أفقدها الهدوء والرزينة فأضحت في منتهى العنف والعصبية والتوتر.

وفي ذلك اليوم فقط، قامت الزوجة بالفعل بالذهاب إلى زيارة أقرب هيكل مقدس لها وحصلت على وعد مؤكد من إلهة الهيكل مفاده تعافي زوجها الوشيك وعودته إلى الحياة مرة أخرى وممارسة الأعمال المختلفة؛ بيد أن الزوج زاد في الضعف والذبول شيئاً فشيئاً، حتى كسرت العاصفة القوة الباقية في قلب الزوجة وملأتها بخوف لم تتمكن من التعبير عنه أو التصريح به لأي مخلوق.

ويا لها من جلبة واقعة بالخارج! لمن تلك الأصوات المخيفة التي تحدث دوياً مفزعاً حول الكوخ ولمن تلك الأيادي التي

Twitter: @ketab_n

تطرق بعنف وقسوة الأبواب والنوافذ حتى اهتزت وتحطمت تماماً بفعل قبضات يدها القوية؟

كل هذه الأسئلة وأكثر أخذت تدور في عقل الزوجة المشتت، وأخذت الأسئلة المشؤومة تزداد عنفاً وظلت تضرب بجناحيها بعنف في كافة أسوار رأسها، وفي النهاية لم تعد الزوجة قادرة على الصبر والاحتمال أكثر من ذلك، فأحست أنه يتعين عليها النهوض من مكانها ورؤية ما إذا كانت هذه الأرواح المجنونة الغاضبة التي اجتمعت وتكاثرت بشكل واضح وقوي حول الكوخ حقاً رسلاً تحمل نذير الشر والشؤم.

وكانت الغرفة معتمة للغاية، حتى قادت الزوجة إلى إشعال الفتيلة الصغيرة المتبقية في أحد أطباق الزيت الصغيرة لخلق بصيص من الضوء وسط هذه الظلمة العاتية، ثم حدقت بشدة في وجه زوجها المنهك ونظرت إليه باهتمام شديد فأبصرت ملامح وجهه الذابلة وضعفه ووهنه، بدا الزوج وكأنه يعرفها ويدرك ملامحها إذ ارتسمت على ثغره ابتسامة شتوية باردة تنم عن اليأس والإحباط وفقدان الأمل، ثم دق ناقوس الموت ليعلن بذلك رحيله عن الدنيا في اللحظة نفسها. وفي تلك اللحظة، ركزت الزوجة نظرها إليه بقلب حزين مكسور، فحدثتها نفسها عن

Twitter: @ketab_n

تلك العلامات التي تبشر بموته من شحوب وجهه وميله إلى اللون الرمادي وذبول شفتيه وخلوهما من أي حمرة ورونق للحياة، فما كان إلا نفساً أخذ من أعماق بعيدة وتنهيدة أو اثنتين على الأكثر حتى رحل عن الدنيا أعز إنسان على قلبها في هذه الدنيا.

وبعد الانتهاء من المراسم الجنائزية المعتادة، التي ابتلعت نفقاتها كل ما تمتلكه الزوجة وما تبقى لها من حطام هذه الدنيا الفانية، حتى الحقول الصغيرة التي تمتلكها، اضطرت الزوجة إلى بيعها والتخلص منها لجمع تكاليف الدفن والجنازة، وصارت الأرملة معدمة لا تمتلك أدنى متاع من متع الدنيا. وقد أدركت هذه المرأة التي تمتعت بشخصية قوية طوال حياتها ضرورة التفكير والتصرف فيما يتعين عليها القيام به خلال الفترة القادمة من عمرها، وقد آمن الجميع أن زواجها هو الحل الوحيد الذي من شأنه إنقاذها وإعانتها في هذه الحياة القاحلة؛ بيد أنها أصرت على ألا تلجأ إلى هذا الحل البتة، فقد كانت ذكرى زوجها الراحل غالية عليها، وبغض النظر عن ذلك، كان واجبها يحتم عليها المضي قدماً في رحلة الحياة لتربية ابنها الصغير والوصول به إلى مشارف مرحلة الرجولة وتحمل المسؤولية حتى يتمكن من شغل مكانة مرموقة بين طبقة العلماء والمفكرين داخل الإمبراطورية.

Twitter: @ketab_n

وقد خطرت ببالها سريعاً خطة جريئة غير معهودة، لم يعرف بمضمونها أي شخص حولها، لابد من أنها سر حياتها كلها الذي يجب أن تبقيه محفوظاً في وعاء ثمين داخل مكنون صدرها والذي لا يجب أن يعرف بمكانه أي فرد مهما كان قريباً منها حتى ابنها الوحيد – في حال استطاعت كتمان هذا السر عنه.

وبعد قيام الزوجة ببيع الكوخ البسيط الذي كانت تقيم فيه مع زوجها الراحل وابنها الصغير، انتقلت الأرملة للعيش في إحدى الضواحي الهادئة الواقعة خارج حدود المدينة الكبيرة التي عرفت بنهمها الشديد للتعلم والدرس، ثم نبذت هذه المرأة ثيابها وارتدت ملابس الرجال، فلم يكن أمامها سوى هذا الطريق الوحيد لتطرقه فتكسب قوتها وقوت ولدها، إذ تواجه النساء صعوبة شديدة في الصين للعمل وكسب العيش، وبصفتها رجلاً، أصبحت هذه المرأة قادرة على الالتحاق بأي من الأعمال التي لا تحتاج إلى مهارة خاصة أو براعة للقيام بها، وهو ما حدث بالفعل، فقد استطاعت حمل حمولة ثقيلة أُسوة بكثير من الرجال الذين كانت تتنافس معهم للقيام بالعمل، وكانت الزوجة الأرملة على قدر عال من دماثة الخلق وحسن التصرف، كما تحررت من كافة قيود لغة الحرفيين والعمال غير المهذبة، مما

Twitter: @ketab_n

دفع أصحاب العمل، دون دراية بجنسها الحقيقي، إلى اختيارها من ضمن الكثيرين وتفضيلها على الجميع ممن يعرضون أنفسهم للنهوض بمختلف المهام.

وانقضت سنوات عديدة، بينما يكبر ابنها الصغير حتى أصبح على أعتاب سن الشباب وبداية الرجولة، وصممت المرأة في داخلها على أن يصبح ابنها طالباً، فكان ذلك أقوى طموح أو حلم تصبو إليه في حياتها، وعملاً على تحقيق ذلك حرمت نفسها تقريباً من أكثر ضروريات الحياة وتحملت أقصى ما يمكن تحمله من مصاعب لتحقيق هذا الحلم.

ولقد مضى الآن عشرون عاماً على الليلة العاصفة التي صعدت فيها روح زوجها إلى أرض الأرواح، وفي المدينة المجاورة، انتهت للتو من الاختبارات التي تتم على مستوى الإمبراطورية وسادت مشاعر القلق والإثارة بين آلاف الطلاب الذين اجتمعوا خارج قاعة الاختبارات لمعرفة أسماء الطلاب الناجحين.

وفيما بعد، عاد الابن إلى البيت بخطوات خفيفة مفعمة بالحيوية والنشاط، وعيناه مليئتان بالتألق واللمعان والفرح، وقد شعر بإثارة وفرحة عارمة تجتاح قلبه حين تمكن بالكاد من قول القليل من الكلمات التي نطق بها.

Twitter: @ketab_n

فصاح قائلاً لأمه والتي يعتقد منذ صغره، نظراً لتنكرها المقنع، بأنها والده: «أبي، لقد تحققت أخيراً أمنية قلبك وقلبي اليوم فقط، لقد تمكنت من اجتياز الاختبارات الإمبراطورية، وكان شرفاً لي أن أعتلي المركز الأول فأتصدر قائمة أسماء الطلاب المتفوقين، لذلك يا والدي العزيز لن تضطر إلى القيام بالأعمال الشاقة بعد اليوم، سيكتب اسمي بأحرف من نور في المقاطعة وسيعلن في كل طائفة من الطوائف الكونفوشيوسية، كما سيتحدث الطلاب والعلماء في كل مكان بفخر وإعجاب عني وعن النجاح العظيم الذي أحرزته، لقد طرق الحظ السعيد بابي، والفضل يعود إليك يا أبي بعد كل الجهود التي بذلتها من أجلي، وإنكارك المستمر لذاتك والتضحية بحياتك، علاوة على المصاعب الكثيرة التي تحملتها من أجلي من دون شكوى أو تذمر طوال السنوات الماضية، حتى استطعت أن أشيد مملكتي الخاصة وأخرج عن نطاق العاملين البسطاء الذين يكسبون حفنة من النقود التي لا تكفي لأي شيء كل يوم، كما كان الحال بالنسبة لك يا والدي العزيز، وكنت على استعداد لتقديم ما هو أكبر من ذلك بدافع إسعادي وحبي».

امتلأ وجه المرأة بإشراقة السرور والبهجة، طوال الوقت الذي

Twitter: @ketab_n

تحدث فيه ابنها إليها، وذلك بعد أن تأكدت من تحقيق حلمها وأمنية حياتها حتى سيطرت عليها مشاعر السعادة وغلبتها أهازيج الفرح وطرب قلبها لسماع تلك الكلمات الحانية.

وتردد صدى الفكرة والذكرى لزوجها الحبيب داخل عقلها وهي تفكر قائلة: «آه! لو كان فقط زوجي الآن معنا، ليشاركنا الاستمتاع بهذه اللحظة الرائعة التي طالما سعينا إليها!»، وقد عادت بذاكرتها إلى الوراء والماضي البعيد فرأت تلك الليلة الموحشة تمر بخيالها سريعاً، فكانت أسوأ ليلة في عمرها كله؛ فقد سُمعت أصداء زئير العاصفة الهوجاء التي هبت فهزت بل زلزلت أركان الكوخ البسيط المصنوع من القش، ونحيب الأرواح الشريرة التي قذفت في قلبها رعباً لا مثيل له، مرة أخرى في أذنيها كما لو وقعت هذه الدراما المأساوية الليلة الماضية فقط.

وبينما الابن في قمة السعادة التي قلبت حياته فجأة رأساً على عقب، واصل حديثه عن الخطط التي سيضعها للمستقبل، شارحاً كيف أنه لن يعاني من نقص النقود مرة أخرى، إذ ستتاح أمامه العديد والعديد من فرص العمل، وسيُدعى من قبل أكثر رجال المدينة ثراءً لتعليم أبنائهم، فقد صار الآن عالماً شهيراً، وسيتنافس

Twitter: @ketab_n

الأغنياء بضراوة للحصول على خدماته في تعليم أبنائهم.

ولن يمر وقت طويل، حتى يحصل الابن بكل تأكيد على إحدى الوظائف الحكومية التي ستتيح له فرصة بناء أكداس كبيرة من الثروات الطائلة في منزله، ثم يرتقي والده بالتالي فيحتل مكانة متقدمة بين نبلاء المدينة من أصحاب الثروات الطائلة، كما سيعيش معه في المكتب المخصص له لمتابعة أعماله من قبل الإمبراطورية ليعامل بقدر كبير من التقدير والاحترام، واستمر الابن في كلامه بحماس الشباب بوجه مشرق وعينين متألقتين من شدة الفرحة، وبينما هو يرسم بريشة فنان مبدع رؤيته المستقبلية، كانت والدته تركز النظر إليه بعينين مفعمتين بمشاعر الفخر والإعجاب.

وفي نهاية الأمر، توقف الابن عن الحديث فجأة، وغاب الضحك والابتسام عن شفتيه تماماً، ثم قال في صوت حزين ونغمات متهدجة: «أبي، أرغب أن ترشدني إلى المكان الذي دفنت فيه والدتي، يجب أن أرتب أمر بزيارتها وأقدم القرابين الملائمة لروحها، وأخبرها كيف كبر ولدها وصار ناجحاً في مكانة مرموقة، وأعلن لها عن امتناني الشديد لها، فهذا واجبي نحوها كأي ابن بار بوالديه ولا يجب أن يعوقني أي شيء عن القيام بذلك».

Twitter: @ketab_n

وبينما كان الابن ما زال مسترسلاً في حديثه، لم يلحظ البتة الشحوب الرهيب الذي علا وجه والدته بمجرد أن أتم كلماته، ولم يدرك وقع هذه الكلمات التي أدخلت شعوراً باليأس العميق في قلب والدته التي شعرت الآن أنها اقتربت من نهاية حياتها، فقد كانت بحق امرأة نبيلة ذات أهداف ومثل عليا ينبغي أن تكون لدى جميع النساء ليحذوا حذوها، فلن تجرؤ قطّ على مواجهة العالم حين يكتشف حقيقتها بعد أن عاشت كرجل طوال هذه السنوات واختلطت مع غيرها من الرجال والشباب بمنتهى الحرية والبساطة، فانتهكت بذلك كل قوانين وضوابط السلوك القويم المعروفة والتي تنظم وتحكم النساء في كافة طبقات المجتمع وفئاته، لذا وجدت الأم أن كل ما يتعين عليها فعله في هذه اللحظة الاختفاء ومغادرة العالم بلا رجعة ومواجهة الموت.

وفي اليوم التالي، وعند شروق الشمس، دخل الابن حجرة أبيه كعادته اليومية، فوجده جثة هامدة فوق سريره، وانتابته دهشة كبيرة حين رآه مرتدياً ثياب امرأة، وأدرك على الفور أن الوفاة لم تكن حادثاً عارضاً بقدر ما كانت مدبّرة، فرقد الجسم في وضع كما لو كان مهيئاً للمراسم الجنائزية المعروفة،

Twitter: @ketab_n

كما تم إيلاء عناية كبيرة للملابس وشكل الشعر وغيرها من التفاصيل الدقيقة اللازمة لتحضير الجثمان لعملية الدفن، فلم تكن هناك حاجة لاستدعاء المختصين بالدفن للقيام بأي شيء تجاه الجثمان، ولا يجب أن يكون هناك من ينظر نظرات فضولية أو غير متعاطفة تجاه غموض حياتها.

وانتشرت أنباء القصة بسرعة كبيرة من الضاحية إلى المدينة، حتى تناقلتها كافة الأسر والعائلات في المنازل المختلفة، وسادت مشاعر واحدة بين الجميع هي مشاعر التقدير والإعجاب الشديدين لكل الحب والبطولة التي أظهرتها الأم حتى ضحت بحياتها مقابل إسعاد ابنها وتعليمه.

ونتيجة لذلك، قام موظفو الإمبراطورية بكتابة عرائض إلى الإمبراطور يطلبون منه الموافقة على إصدار مرسوم يسمح ببناء قوس لتخليد ذكرى هذه المرأة النبيلة التي يجب أن تحيا في جميع العقول والقلوب للأبد.

ولقد منح الإمبراطور موافقته على تشييد القوس؛ وتقرر أن تنحت على صخوره الجرانيتية نقوش تتكون ببساطة من كلمتين فقط، ألا وهما: «الرجل الرائع».

Twitter: @ketab_n

إله المدينـة

في سالف الأزمان، قام أحد الصيادين في إحدى الليالي بإرساء قاربه على مقربة من ضفة جدول مائي صغير يتدفق بالقرب من إحدى المدن الكبيرة، التي ترتفع أسوارها وتكتسي باللون الرمادي فتظهر بمنتهى القوة إذا نظرت إليها عن كثب، فكان يستمتع دائماً بصوت الحياة والناس حوله مما أبعد عنه الشعور بالوحدة والعزلة، وفي الوقت نفسه، فقد أسرع العمال البسطاء الذين يحملون الأعمدة المصنوعة من الخيزران على أكتافهم بعد شعورهم بالإنهاك الشديد من أعباء عملهم الثقيلة طوال اليوم، في السير خشية أن يرخي الليل سدوله فيحول بينهم وبين العودة إلى منازلهم في الظلام الدامس، كما صار العمال القائمون على حمل المحفات المصنوعة من الخيزران والذين يحملونها دائماً مع إبداء ابتسامة خفيفة تنم عن إرهاق وتعب شديدين، يخطون بخطى واسعة ويصيحون في السائرين طالبين منهم إفساح الطريق وعدم اعتراضهم حتى يصلوا إلى أسوار المدينة قبل إغلاق بواباتها العظيمة أثناء الليل.

Twitter: @ketab_n

وبحلول الوقت الذي بدأ فيه غياب الشفق من السماء وأخذت معالم الجبال البعيدة تنطمس وتختفي في الأفق الفسيح، انتهى الصياد من طهي عشائه، فاكتسب الأرز رائحة طيبة ذكية أثناء طهيه في تلك المقلاة الواسعة التي ارتدى فيها الأرز ثوباً ناصع البياض فكان شكله شهياً للغاية.

وقد قام الصياد بقلي عدد قليل من الأسماك الصغيرة التي اصطادها من النهر حتى مال لونها إلى البني المختلط بلون الصعتر اللذيذ، وبينما كان يستعد للجلوس والاستمتاع بتناول وجبة العشاء الشهية هذه، حانت منه التفاتة إلى جواره، فرأى غريباً يجلس في مؤخرة القارب.

فاعترت الصياد حالة من الذهول ولم يكد يصرح بهذه الدهشة، حتى شعر بأن هناك شيئاً ما غريباً بخصوص هذا الزائر الغامض مما جعل الصياد وكأنه قد أصيب صدمة الصمت وبدا كالمسحور، وكان يبدو للصياد حين هم بالنظر إلى هذا الغريب نظرة متفحصة أنه ينتمي إلى أسرة طيبة ومحترمة، وعلاوة على ذلك، كان له وجه سمح ينم عن العطف والحنان والكرم مما ساعده على كسب ثقة واحترام كل من يتعامل معه وتقع عيناه عليه.

وبينما يتساءل الصياد عن هوية الزائر وكيف تمكن من الظهور على هذا النحو الغامض داخل القارب، قال الغريب: «دعني

Twitter: @ketab_n

أفسر لك من أكون وأعتذر عن تطفلي عليك وعلى قاربك بهذا الشكل دون استئذانك، إنني أجسد روح أحد الرجال الذي غرق منذ عامين في مكان ليس بعيداً من الموقع الذي يرسو فيه قاربك في هذه اللحظة، ولقد قمت بمحاولات عديدة لإغواء كثيرين بالنزول إلى النهر والإقدام على الانتحار حتى أتحرر من هذه الروح فأتمكن من ترك البقعة التي يربطني بها مصيري المحتوم حتى يمكن لأي بائس آخر أن يأخذ مكاني».

وقد حُكم على روح الغريق أن تحوم دائماً حول المكان الذي فقد حياته فيه إلى أن يهلك أي شخص آخر بمحض الصدفة أو بخداع ذلك الشخص الغارق له، فيفقد حياته هو الآخر في الماء حتى يأخذ مكان الروح التي ستسافر بعد ذلك في سرعة شديدة إلى أرض الأرواح.

ثم أضاف الغريب قائلاً: «لقد شعرت بملل وسأم شديدين هذا المساء حتى اضطررت إلى المجيء والتسامر معك لفترة قصيرة، لذا أرجو منك أن ترحب بوجودي وتقبل زيارتي وتسمح لي بالبقاء في قاربك حتى يحين موعد خلودك إلى النوم».

وعندها، أبدى الصياد، الذي انتابته دهشة كبيرة بسبب هذه الزيارة الغريبة، سعادة كبيرة باستقبال الغريب ودعاه لمشاركته في تناول وجبة العشاء والتصرف في القارب بحرية تامة كأنه بيته.

Twitter: @ketab_n

ومنذ تلك المرة، اعتادت هذه الروح الوحيدة على تكرار الزيارة إلى القارب وقضاء فترة المساء مع الصياد، حتى نشأت بينهما صداقة كبيرة، وفي إحدى الليالي جاء الشبح وقد علت وجهه ابتسامات رائعة كما امتلأ صوته بنغمات تنم عن الشعور بالفرح والسعادة، ولم يكد الزائر يجلس ويستريح حتى انطلق قائلاً: «سأراك الليلة للمرة الأخيرة، فقد اقتربت الساعة الحاسمة، وقاربت ساعات الانتظار الطويلة على الانتهاء، وبدت سحابات اليأس والقنوط وقد أوشكت على الانقشاع، غدا ستغرق ضحية جديدة في النهر فتطلق سراحي ولن تراني مرة أخرى بعد هذه الليلة».

وعند سماعه لهذه الأخبار، ساور الصياد الخير قلق بالغ تجاه الشخص الذي سيلقى حتفه في الصباح الباكر ويسقط صريعاً تحت سطح الماء، وبحلول منتصف النهار، وبينما كان الصياد يشاهد ما يحدث على جانبي النهر، رأى امرأة فقيرة تبكي وتنوح وتندفع بخطى مسرعة نحو الماء، وكان شعرها أشعث تنسج فيه العنكبوت خيوطها، وعيناها كأنهما جذوتان مشتعلتان من شدة الاحمرار فتفيض منهما أنهار غزيرة من الدموع علاوة على صيحاتها المتوالية التي تنم عن حزنها وشقائها والتي كانت

Twitter: @ketab_n

تنطلق من شفتيها وكأنها أسهم مصوبة على غير هدى، وكانت تستعد لإلقاء نفسها في الماء، عندئذ طلب منها الصياد بصوت مرتفع ولهجة آمرة أن تتمهل ولا تتسرع في القيام بهذا الفعل.

وفي صوت متسائل وجه الصياد حديثه إلى المرأة عن سبب إقدامها على محاولة الانتحار والتضحية بحياتها في النهر.

فأجابت المرأة: «أشعر بأنني أتعس امرأة على وجه الأرض، ففي طريقي إلى منزلي الآن نصب لي أحد اللصوص فخاً، فسرق مني بعض المال الذي كنت سأعطيه لزوجي، الذي كان سيرد به دينه لرجل يهددنا بإنزال أقصى أنواع العقاب علينا في حال عدم رد الدين اليوم، لذا فإنني أفضل الموت على رؤية الحزن والهم في عينيّ زوجي إذا رويت له هذه القصة المحزنة».

وبعد أن سألها الصياد عن المبلغ الذي سرق منها، قام بإعطائها مبلغ مساوياً له تماماً، وانطلقت المرأة بخطى واسعة مفعمة بالحيوية والنشاط والبهجة في طريقها إلى منزلها.

وفي الليلة نفسها، كانت المفاجأة فقد قامت الروح بزيارة الصياد بعد أن ودعته الليلة السابقة الوداع الأخير وأخبرته أنها لن تأتي لرؤيته من جديد.

Twitter: @ketab_n

وبادرت الروح الصياد بالسؤال قائلاً: «ماذا كان هدفك من وراء حرماني من فرصتي الوحيدة لنيل حريتي وإطلاق سراحي من هذا السجن الذي عشت حبيساً داخله لفترة طويلة في هذا النهر؟».

فأجابه الصياد: «أستميحك عذراً، ولكنني لم أقوَ على تحمل نظرة الحزن التي ملأت عيني هذه السيدة الفقيرة و لم أستطع التفكير في مأساة أهلها حين يعلمون بوفاتها وغرقها في النهر، لذلك قمت بإنقاذها»، ثم بدأ الصياد في لغة فصيحة في وصف نشوة الإحساس بالكرم والسخاء والإحسان إلى الآخرين، ورجا زائره أن يحاول إنقاذ حياة الناس مفضلاً صالحهم على صالح سعادته ومنفعته الشخصية من أجل الحصول على حريته، وفي النهاية تأثر الزائر الغريب كثيراً بحديث الصياد ووعده بعدم تكرار المحاولة لنيل حريته على حساب قتل الآخرين وإغوائهم بالانتحار حتى لو عنى ذلك قضاءه سنوات عديدة من البؤس والشقاء في هذا النهر القاتل.

ومرت سنوات عديدة، لم يطلق خلالها سراح هذه الروح المسكينة، فقد توقفت تماماً حوادث الإقدام على الانتحار أو الغرق في النهر، وأنقذت حيوات الكثيرين من خلال بعض التحذيرات الغامضة التي أتت من أعماق المياه الراكدة فأنزلت الرعب والخوف بقلوب كل من أقدم على محاولة الانتحار أو إلقاء نفسه في النهر.

Twitter: @ketab_n

وبعد مرور بعض الوقت، تحركت مشاعر كوان ين، إلهة الرحمة، وتأثرت كثيراً بما رأت من هذه الروح وتفضيلها مصالح الآخرين على منفعتها الشخصية وهو ما تجسد بوضوح في تضحيتها بنفسها وحريتها لإنقاذ أرواح بعض الناس الذين ضاقت بهم سبل العيش والحياة فقرروا الانتحار والتخلص من حياتهم، فقامت إلهة الرحمة بإطلاق سراح الروح النبيلة وتخليصها من السجن التي حبست فيه داخل النهر لدهور طويلة. وعلاوة على ذلك، فعندما أحست كوان ين بمدى إمكانية استئمان مثل هذا الرجل على مقادير الناس الذين قد يأتون لمكانه وحياتهم، أمرت بترقيته ورفعته إلى مكانة الآلهة، كما أمرت أيضاً بتشييد هيكل له في كل قرية ومدينة داخل الإمبراطورية، حتى يمكن تخليص كل من يعاني من ظلم واضطهاد وقسوة من همه وكربه في ضريح ذلك الرجل الذي أبدى الكثير من التعاطف والمودة والرحمة للآخرين وقت الشدة.

وكانت تلك قصة إله المدينة.

وبما أنه اعتبر ممثلاً لحاكم أرض الأرواح الموحشة، شيد له هيكل من الطراز الخاص بهيئات محاكم القضاة النبلاء في الإمبراطورية، فكان مدخله كبيراً وفسيحاً للغاية وشيدت بواباته الكبيرة كتلك الخاصة بمكاتب كبار قضاة وموظفي الإمبراطورية.

Twitter: @ketab_n

ويحيط بهذه البوابات الكبيرة فناء شاسع مرصوف ببلاط مصنوع من الجرانيت ويقع على كل رصيف ستة تماثيل بالحجم الطبيعي تمثل «المطاردين» أو رجال الشرطة التابعين للإله الذين هم على استعداد دائم لتنفيذ قراراته ومطاردة من أدانهم الإله كمجرمين والقبض عليهم باستخدام كافة الوسائل الغامضة وغير المرئية.

كما يشوب الغضب والعبوس المستمران وجوه هذه الأشكال أو التماثيل ويُفهم سلوكهم باعتبارهم رجالاً مفترضاً بهم دائماً مطاردة وتعقب المجرمين ذوي السمعة السيئة ممن يصدر يام لو أوامر بالقبض عليهم واحتجازهم.

وفي نهاية هذا الفناء الفسيح توجد ستارة صفراء يمكث الإله خلفها فلا يمكن لأحد أن يرى صورته، ويجلس أمامه تمثالان لاثنين من أمناء السر العاملين لديه، يمسك كل منهما بقلم ضخم في يده ويمضيان وقتهما واقفين آناء الليل وأطراف النهار لتدوين وتسجيل كافة الالتماسات والتوسلات والابتهالات والصلوات التي تقدم للإله من هؤلاء الناس الذين يشعرون بحزن شديد أو يعانون من تبعات الظلم والاضطهاد والطغيان.

وفي أحد الأيام بعد انقضاء فترة الظهيرة، هزت بعض الجلبة والصخب الهدوء والسكينة السائدين داخل هذا الهيكل المقدس،

Twitter: @ketab_n

فقد سُمع وقع أقدام وخطوات مسرعة لحشود هائلة من الناس تتدافع نحو بوابات الهيكل الرئيسية، وتقدم رجلان في سرعة كبيرة وتقدما بخطوات واسعة باتجاه باب غرفة الجني المسؤول عن أعمال الشرطة، حيث بدا عابساً حزيناً وزادت رعونته وشدته عندما حدق الرجلان بشدة في المسئولين الموجودين بالمكان في مشهد سيتعين على رجال الشرطة القيام بالكثير لأجله خلال الفترة القادمة.

وكان الرجلان شابين في مقتبل العمر؛ لم يتخطّ عمراهما العشرين ربيعاً؛ وسار في إثرهما حشد كبير من المتسكعين والعاطلين والتافهين المتكاسلين الذين بدوا كمن ينتشرون كالسحر عند وقوع أحداث غير معهودة.

وتقدم أحد الشابين الحشد، وكان وجهه شديد الحمرة والتمعت عيناه السوداوان بسبب إثارة الموقف، كما حمل في يده اليسرى ديكا أبيض اللون، وقد جاء إلى الهيكل ليتقدم بالشكوى والتوسل للإله بغرض الانتقام لشرفه.

واتخذ الشاب مكاناً له أمام الإله المعبود وبدا على أميني السر الممسكين بقلميهما نظرة اهتمام واضحة حين قام الشاب بإبراز لوح من الورق وأخذ في قراءة البيان المكتوب، الذي احتوى على العديد من التفاصيل غير المرغوب فيها فتضمن كثيراً من

Twitter: @ketab_n

الإسهاب والإطناب، كما هو الحال في العديد من الوثائق، غير أن الحقائق المهمة كانت واضحة تماماً للعيان.

لقد عمل الشابان مساعدين في أحد المحال التجارية بالمدينة، وقبل ذلك بوقت قليل، قام صاحب المحل دون إعلام أي منهما بإخفاء مبلغ كبير من المال لأنه رغب في استغلاله في دفع ثمن بعض البضائع والسلع التي قام بشرائها، وعندما ذهب اليوم الماضي لإحضار المبلغ عند تقديم الفاتورة، انتابته دهشة كبيرة حين أدرك اختفاء النقود، فهو لم يخبر يوماً أي شخص عن هذا المبلغ، حتى زوجته؛ ولذلك كان مقتنعاً تمام الاقتناع بأن أحد مساعديه اكتشف المكان الذي أخفى النقود فيه وسرقها، ثم زادت شكوكه لسبب أو لآخر في الرجل الذي يقوم الآن بتقديم الشكوى ضده قارئاً مظالمه والذي كان يلتمس من الإله استخدام كافة قواه ليس فقط لإثبات براءته ولكن لإنزال عقاب قاس وشديد بالمجرم الحقيقي.

ولقد كان المشهد مدهشاً وغريباً وزادت إثارته حين أوشك الشاب على الانتهاء من قراءة شكواه ومظالمه، ثم التمس من الإله أن يصب جام غضبه وعقابه على اللص الحقيقي الذي قام بسرقة النقود.

ورفع يديه عالياً مبتهلاً إلى الإله قائلاً: «يا إلهي أتوسل إليك أن

Twitter: @ketab_n

تجعل حياة ذلك السارق الشقيّ سلسلة طويلة من العذاب والهم، ليت تجارته تنتهي بكارثة كبيرة؛ أتوسل إليك أن تأمر بموت والديه؛ ليته يصاب بمرض عضال لا يُشفى؛ ليت لعنة الحظ السيئ تطارده أينما ذهب بكل شكل وصورة؛ ليته يصبح متسولاً فقيراً فتصاب قدماه بالقروح ويجلس على جانبي الطريق ويتوسل للمارة في لهيب الشمس المحرقة وريح العواصف العاتية؛ ليته لا ينجب أي أبناء يخلدون ذكراه ومجده أو يقدّمون القرابين المختلفة لروحه في أرض الأرواح؛ ليته يصاب بالجنون ويفقد عقله حتى يصير مصدراً لتهديد ورعب كل أقرانه وزملائه؛ ليت حياته تنتهي نهاية مأساوية أليمة فيموت ميتة بشعة على نحو مفاجئ مثل تلك النهاية التي سأقضي بها على حياة هذا الديك الأبيض الذي أحضرته معي إلى هنا».

ولم يكد الشاب يتم كلماته الأخيرة، حتى أمسك بساطور حاد وبحركة واحدة وسريعة فصل رأس الديك جسده بضربة واحدة، فأخذ الديك يضرب بجناحيه في الهواء ويلفظ أنفاسه الأخيرة حتى تدفق نهر طويل من دمائه على الأرض إلى أن سقط جثة هامدة بلا حراك.

ثم أمسك الشاب بتلابيب شكواه المدونة في تلك العريضة

Twitter: @ketab_n

الطويلة واقترب شيئاً فشيئاً من أميني السر اللذين بدأ كل منهما في التحديق فيه هذه اللحظة وقد كست وجهيهما نظرة واضحة من التعاطف، ثم أشعل الشاب النار في الشكوى وأحرقها حتى صارت رماداً رفيعاً متطايراً في الهواء وصل إلى يدي الإله الذي بدأ في سرعة كبيرة في إعداد مقصلة غير مرئية للعيان ليقطع بها رأس الطرف الظالم أو المذنب ليطبق الأحكام المطلوب تنفيذها عليه.

وتعاطف جميع الحاضرين مع الشاب الذي أقسم جاهداً على براءته من تهمة السرقة الموجهة إليه من صاحب لمتجر، بينما اعتقد الجميع أن الشاب الآخر الذي لم يدل بالكثير أثناء نظر الدعوى وسماع الشكوى هو المجرم والفاعل الحقيقي، على الرغم من عدم توافر أي أدلة على إدانته.

وقد علم الإله، بينما كان جميع الحاضرين على ثقة كبيرة، بوقوع العقوبة المستحقة في الوقت المناسب على المجرم المنتهك لحدود القانون.

وما هي إلا دقائق قليلة، حتى استؤنفت الأنشطة المعتادة في الهيكل، وعاد كل شيء إلى طبيعته وبعد اختفاء طرفي الخلاف من الساحة، أخذ الجمع الكبير من الناس في التفرق شيئاً فشيئاً، وبدأ كل واحد منهم في التعبير بصوت مرتفع عن رأيه تجاه حيثيات

Twitter: @ketab_n

القضايا وظروف النزاع. ومع تفرق الحشد، كان من المفترض أن يبدو للناس عدم اتخاذ مزيد من الإجراءات التي تتعلق بالأمر موضوع النزاع، فقد امتلأ وجه الإله بالهدوء وظهر رابط الجأش كعادته دائماً وكأنه لم يتأثر البتة بمشهد الحياة البشرية التي اجتاحت أمواجها العاتية جدران الهيكل وظلت تتصارع أمامه منذ ظهور الشمس حتى زوالها وحلول الليل، وظل رجال الشرطة غير المرئيين بملامحهم الحادة ووجوههم العابسة وأجسامهم الملتوية في أماكنهم المخصصة لهم عند المدخل الرئيسي للهيكل.

ومر زهاء أسبوع أو اثنين منذ سماع الشكوى التي قدّمت إلى الإله، حتى انتابت القائمين على متابعة القضية دهشة كبيرة لوقوع كارثة خطيرة، خلال رحلة بحثهم عن دليل دامغ يقدموه إلى الإله الذي عمل جاهداً على تطبيق مبدأ الثواب والعقاب على الرجل الذي شك الجميع فيه واتهموه بالسرقة.

وكان لهذا الرجل أخت صغيرة بدأت تدخل طور الأنوثة والشباب حتى إن جمالها الأخاذ الذي سلب العقول جعلها قرة عين أهلها وأجمل زهرة في حياتهم، وكان يمكن سماع ضحكاتها الجميلة طوال اليوم، فلم يكن للحزن والهم أي مكان بذلك المنزل، وتشكل وجهها ببراءة شديدة ليتلاءم وابتسامتها

Twitter: @ketab_n

الرقيقة الرائعة فكانت مصدر إلهام دائم لكل من وقعت عيناه عليها فمنحته حياة أفضل ومستقبلاً مشرقاً.

وفي صباح أحد الأيام، نزلت الفتاة الجميلة إلى ضفتي النهر مع مجموعة من جيرانها لغسل ملابس الأسرة، فكان النهر يندفع بقوة وسرعة كبيرة وكان الموضع الذي اختارته النساء للقيام بمهام أعمالهن المنزلية دائماً مكاناً آمناً، لوقوعه على مسافة غير قريبة من مجرى التيار فلا يمكن وقوع أي حادث غير متوقع.

وعندما انتهت جميع النساء من مهام أعمالهن صعدن أعلى حافة ضفة النهر بهدف العودة إلى منازلهن، وعندئذ سمعت النساء صيحة تنم عن الغرق والاحتضار، والتفتت النسوة إلى جوارهن، فأدركن تعثر الفتاة الصغيرة وسقوطها في النهر، فأصبن بصدمة هائلة ورعب شديد من جراء الحادث حتى فقدن القدرة على التفكير وسرعة وحسن التصرف فأعطين بذلك الفرصة الكاملة لجدول النهر المتدفق السريع للإمساك بتلابيب الفتاة المسكينة في قبضته وسحبها مع مجرى التيار، وعندما حضرت النجدة في نهاية الأمر، كان يمكن فقط رؤية جسد الفتاة وهو طاف فوق صفحة الماء المضطربة، وقبل أن يمضي أي قارب لنجدتها، اختفى جثمان الفتاة وابتلعته أمواج البحر التي

Twitter: @ketab_n

تضاربت بقوة وعنف وأصدرت أصوات زئير مدوية في الفضاء استمرّت على بعد ربع ميل تحت سطح البحر.

ووقعت الكارثة المروعة التي جعلت شبح الحزن والغم يخيم كلياً على المنزل، بسبب حكم الإله، وتحدث الناس في حزن شديد بأصوات متهدجة من فرط الألم والحزن وأنفاس متقطعة عن النهاية المأساوية لحياة هذه الفتاة الجميلة التي دخلت بمنتهى السهولة إلى قلوب كل من عرفها فأحبها حباً جماً، بيد أنهم أدركوا أن وفاة الفتاة لم تكن مجرد حادث، بل نتجت عن القوى الغامضة الخفية للقوى غير المرئية التي تعمل دائماً على إقامة العدالة وتطبيقها وإيقاع العقاب بمن يخالف حدود عدالة السماء وينتهكها.

وبعد زهاء شهر من وقوع الكارثة، بدأت الأمطار التي تحملها سحب الرياح القادمة من الجنوب في الهطول بغزارة، فتجمعت السحب في كتل مكثفة تكدست جميعها أعلى رؤوس التلال المجاورة، وصبت المياه الغزيرة حتى امتلأت جداول المياه والأنهار الصغيرة وتحولت إلى أمواج متلاطمة عاتية يُسمع صوت زئيرها عن بعد، فتندفع في سرعة إلى الأمام وتشق طريقها نحو البحر العميق بقوة خارقة لا يمكن مقاومتها أو اعتراض طريقها.

وفاضت مياه أحد الجداول الصغيرة التي كانت تتدفق إلى جانب

Twitter: @ketab_n

منزل أسلاف العائلة التي ينتمي إليها الشاب المشتبه في قيامه بسرقة المال عن ضفتيه واندفعت بسرعة جنونية خارقة فاجتاحت جميع الحقول الزراعية حتى إنه عندما توقفت الأمطار لم يمكن قط تعقب قطرة ماء واحدة منها، فلم يتبق سوى الرمال والحصى التي لن يتأتى قطّ في ظل وجودها حصاد أي محصول زراعي في المستقبل، مما أدى إلى تدمير مستقبل الأسرة وانهيارها وضياع أموالها.

وكانت الكارثة الثانية التي نزلت بمنزل الأسرة دليلاً واضحاً دامغاً أمام أعين جميع من عرف بقصة النقود المسروقة على الأحكام التي أصدرها الإله الذي ظل يعمل بمنتهى الجدية من أجل حلها وحسمها لإنزال العقاب بمرتكب الجريمة، وأثبت ذلك أيضاً نجاة بقية المزارع والحقول الأخرى من الفيضان.

ومنذ ذلك الوقت أيضاً بدأت علامات الجنون تظهر بوضوح على الشاب الذي قام بالفعل بسرقة النقود، بعد المصائب والكوارث التي حلت بأسرته ومنزله، لقد دل غرق أخته ووفاتها والدمار الشامل الذي أصاب منزله بسبب الفيضان الذي لم يضر أي مُزارع آخر بالجوار بمنتهى الوضوح على اللعنات التي ابتهل من أجلها زميله الذي اتّهم زوراً إلى الإله لصبها على رأس المذنب الحقيقي فنزلت عليه وعلى أسرته سريعة ومتوالية.

Twitter: @ketab_n

كما سيطرت عليه أيضاً مشاعر الخوف من تملك روح شريرة له حتى إنه بدأ في فقدان صوابه ورشده، فأصبح يهمس لنفسه قائلاً إنه رأى بالفعل عدداً من الشياطين، وزادت هذه النوبات حتى فقد صوابه وجن تماماً، فكان لزاماً على المجتمع المحيط به الإمساك به وتقييده وربطه بالحبال لمنعه من إيقاع الأذى والضرر بنفسه وبالآخرين على حد سواء، وفي أحيان أخرى عانى هذا الشاب من تشنجات الهوس العنيفة، غير أنه في بعض الأوقات كان يتحرك بمنتهى الهدوء ويتصرف بمنتهى التعقل والحكمة والرزانة مع الآخرين، ثم يحدّث نفسه ويتحسر على الحقيقة القائمة التي تشير إلى أن كل ما حدث له قد وقع بالفعل بسبب غضب إله المدينة عليه، من خلال إرسال أرواح شريرة لتعذيبه بعد سرقة مال صاحب المتجر.

وبعد مرور بعض الوقت، لفتت الاعترافات انتباه الأب الحزين، الذي اعتاد الجلوس إلى جواره، حتى إنه أصبح قادراً على اكتشاف المكان الذي أخفى فيه المال فقرر في النهاية استقصاء الأمر، وقام بالفعل بتحري الأمر واكتشف المال في المكان الذي أشار إليه ابنه في أثناء إصابته بنوبة الهذيان وأعيد لصاحب المحل على الفور.

ثم أعيدت النقود إلى صاحبها، وكان الأب والأم يعتمدان

Twitter: @ketab_n

على ابنهما الوحيد لإعالتهما بعد تقدمهما في العمر، فجاء الرجل الذي وجه التهمة وقدم الشكوى إلى الإله وتوسل إليه مرة أخرى للحضور إلى الهيكل وسحب التهم التي قدمها سابقاً ضد زميله، وكانت هذه الطريقة الرسمية والقانونية هي الوسيلة الوحيدة التي عرف منها الإله الحقيقة وأدرك قيام العدالة وتحققها بعد الجرم الذي قام الشاب بارتكابه؛ فإن لم يقم الرجل الذي تبرأت ساحته بذلك، كان الإله سيستمر بصب غضبه ومقته على الفاعل الحقيقي حتى تتأثر الأسرة كلها فيصيبها الدمار والهلاك.

وإشفاقاً على الوالدين، وافق الشاب الآخر على اتخاذ الخطوات اللازمة، مما دفعه إلى تقديم عريضة التماس إلى الإله يعلن فيها رغبته في سحب التهمة التي وجهها إلى ذلك الرجل المشتبه فيه بالسرقة، وتم رد النقود المسروقة إلى صاحبها وتوسّل إلى الإله لكي يوقف كافة إجراءاته ويعفو عن مرتكب السرقة.

وبدا جيداً قبول الإله للالتماس فبدأ على الفور بالعفو عن الشاب المجرم الذي أخذ في التعافي والعودة إلى رشده واختفاء علامات الجنون منه، غير أنه فهم الدرس جيداً؛ ولم يرتكب أي جريمة أخرى طوال حياته كتلك السرقة التي جرّت كوارث خطيرة وعواقب وخيمة عليه وعلى أسرته.

Twitter: @ketab_n

مأساة أسرة السيد «يين»

في منطقة ما بإحدى المقاطعات التي تقع بقلب إمبراطورية الصين العريقة، عاش رجل يدعى «يين»، وكانت لديه بعض الأملاك، كما كان يتحلى بطموح كبير يسعى من خلاله إلى احتلال وشغل مكانة متميزة في الحياة والمجتمع، لذلك رغب قلبه في تحقيق أمنية واحدة فقط أكثر من أي حلم آخر ألا وهي أن تتبوأ أسرته المكانة التي يجب أن تكون عليها وأن تنتمي إلى الطبقة الأرستقراطية.

وعلى حد علمه، لم يكن أي من أسلافه عالماً جليلاً، كما أنه لم ينل أي منهم شرف الخضوع للاختبارات الوظيفية التي تتم كل ثلاث سنوات، لذلك انتمت أسرته إلى طبقة العامة التي لم يخرج من أبنائها أي قاض أو موظف مسؤول في سلطات الإمبراطورية، فكيف يتأتى له إذن أن يحظى لأسرته بالشهرة والعزة اللتين تخصان بعض العشائر في المنطقة التي يعيش فيها، وأن يضمنهما لمنزله وأسرته وأحفاده في المستقبل؟

لقد كان «يين» فاحش الثراء لكنه كان أمياً لا يجيد القراءة

Twitter: @ketab_n

والكتابة، وقد أنفق كل أمواله للاستثمار في الأنشطة التجارية المختلفة، وقد تم إغفال حصول يين على التعليم في صغره ذلك أنه قضى أعوامه الأولى وشبابه في صراع وكفاح مستمر مع الحياة من أجل البقاء، وقد نجح بشدة في تحقيق ذلك والتغلب على مصاعب الحياة المختلفة، غير أنه لم ينل شرف الحصول على أي قسط من التعليم كسائر الطلاب، فلم يصبح يوماً ضمن المسؤولين العاملين داخل الإمبراطورية.

وقد خطر بباله يوماً، أنه على الرغم من عدم قدرته على احتلال مكانة مرموقة أو شغل منصب رفيع بين علماء الصين المتميزين، فقد ينال أبناؤه وأحفاده هذا الشرف العظيم، وفي تلك الحالة، سينعكس عليه نجاحهم ومجدهم بالإيجاب ويحقق حلمه الكبير، وقد ينسب إليه هذا النجاح أيضاً فيتحدث الناس عنه باعتباره رب الأسرة التي تتميز بوجود أكثر من عالم ومسئول جليل في الإمبراطورية.

ووصل أخيراً إلى استنتاج واحد مفاده أن أنجع الطرق لتحقيق حلمه الأكبر يتمثل في شراء مدفن كبير ترقد فيه أجساد أسلافه من آبائه وأجداده الذين رحلوا عن الحياة منذ عدة سنوات، فقد تمسك السيد يين كثيراً بأحد المعتقدات المعروفة ألا وهو القوة الكامنة والغامضة التي يمنحها الموتى والتي تنعكس في إغداق

Twitter: @ketab_n

النعم والثروات والرخاء على أفراد الأسرة الباقين على قيد الحياة، وهي الفكرة التي أوحت له طريقة الخروج من الطريق المعتم المعتاد الذي سار فيه آباؤه وأجداده طوال حياتهم بخطوات بطيئة إلى الطريق الذي قد تنعم فيه ذريته وأحفاده بالمناصب الملكية والسلطات العليا في الدولة في المستقبل.

وقد استقال يين من عمله، واستطاع أن يمضي فترات طويلة أو على الأحرى كل وقته في البحث عن بعض الأماكن والبقاع داخل بلدته التي من الممكن أن تتحد فيها بعض القوى غير المرئية مع القوة المهيمنة الغامضة الخاصة بأي من أسلافه من الموتى لإغداق الثروات والأموال الطائلة والمناصب الرفيعة على أولاده.

وفي حضور أحد العلماء المخضرمين والمختصين في هذا المجال، والذي تتيح له خبرته القدرة على تحديد مثل هذه الأماكن التي تفي بالشروط المطلوبة في لمح البصر، قام يين بعدة رحلات وجولات في المناطق المحيطة بمنزله.

وعلى ذلك، قام باستكشاف الأودية المحيطة التي تجري فيها العديد من الجداول الصافية والتي تشق طريقها إلى البحر مباشرة فيسمع فيها خرير الماء ليلاً نهاراً، وحيثما وجد التزاوج

Twitter: @ketab_n

المتناغم بين مصادر المياه والتلال المختلفة، وجد هذان الرجلان معاً يبحثان بجدية في الأراضي المحيطة وبمساعدة البوصلة التي يحملها العالم معه في حقيبته المصنوعة من القماش يعرف ما إذا كانت الخطوط التي يسيران عليها توضح اتخاذ التنين الغامض مسكناً له في هذا المكان.

وقد استكشفا عدداً كبيراً من الأماكن، وعلى الرغم من ملاءمة عدد من هذه الأماكن لشخص ذي طموح متواضع، لم ترض أياً منها السيد يين ولم تحظ بقبوله بعد شعوره بأنها لن تحقق أحلامه وتوقعاته للمستقبل، إذ تشير النواقيس العالية والجداول المائية المتحركة والمشاهد البعيدة لقمم التلال التي تبرز وسط الضباب البعيد إلى بعض الرخاء الذي سيكون نصيباً لهؤلاء المدفون أقاربهم وأسلافهم هناك؛ بيد أنه لا توجد أي دلائل على التفوق والعلم أو على انحدار مسؤولين كبار يمتطون الخيول أو يجلسون على المحفات الخشبية في حضرة حاشية القصر الملكي ليتقدموا في عزة وشموخ ويجوبوا شوارع المدينة التي عاشوا فيها باعتبارهم حكاماً لها، لذا رفض يين مثل هذه الأماكن واعتبرها غير ملائمة على الإطلاق.

ومرت الأيام والشهور وين ماض في سعيه الدؤوب للبحث

Twitter: @ketab_n

عن أي مكان يمكنه الربط بين الحظ السعيد وأسرته لعدة أجيال قادمة؛ غير أن كل مكان يعتبره ين غير ملائم لافتقاره إلى شرط أو اثنين من الشروط المطلوبة التي تفسد الطموح الكبير والتوجهات المستقبلية لهذا الرجل الثري.

وفي نهاية الأمر، وبينما كان ين والعالم يمشيان بخطوات بطيئة وتركيز شديد أثناء جولاتهما المستمرة في يوم من الأيام للبحث عن المكان المنشود، جلسا قليلاً فوق قمة تل منخفض كانا قد صعدا إلى قمته، و لم يكد كلاهما يلقي نظرة خاطفة على ذلك المشهد الخلاب الذي امتد أمامهما، حتى لمعت عينا العالم بحماس غير مسبوق وقال مذهولاً: «انظر! هذا هو ما نبحث عنه منذ شهور عديدة! لن نجد مكاناً أفضل من هذا في إمبراطورية الصين العظمى بأسرها، حيث نقف الآن، كما لو كنا، في قلب الساحة المدرجة الكبيرة التي اجتمعت فيها أفضل قوى الفونغ شوي، حيث يقوم خلفنا هذا التل في شكل شبه دائري رائع لحماية المنطقة وتحصينها إذ يرقد الموتى من الرياح الشمالية ومن الأرواح العظيمة التي تأتي محلقة فوق أجنحة العواصف الشديدة التي تهب متضمنة بعض الجليد والثلوج».

ثم أضاف: «تنتشر بعض الروابي العالية فوق السهل الممتد أمامنا

Twitter: @ketab_n

فتشير بالضبط إلى مواضع رقود التنين بانتظار إسباغ عطاياه على كل من يحضر إلى منطقة نفوذه وسلطانه السحري، ولاحظ أيضاً كيف يمضي النهر ذهاباً وإياباً غير راغب على ما يبدو في مغادرة أي مكان تعمل فيه القوى غير المرئية لإثراء المنازل المختلفة وإسعاد قلوب الرجال والنساء المقيمين بهذه المنطقة، انظر كيف يتدفق باندفاع شديد باتجاه البحر وكيف يشق طريقه عند ذلك الرأس البعيد حتى لا تمكن رؤيته، ثم لاحظ بعد ذلك كيف يمكن أن يبدو كأنما هناك قوة لا يمكن أن يتحكم فيها تحركه في دوائر مستمرة في مساره نفسه حتى يعود مرة أخرى إلى السهل بعيون مشرقة وفرحة عارمة كأنه سعيد برجوعه إلى الجبال البعيدة التي بدأ منها رحلته وارتفاعه».

ثم أضاف قائلاً: «يشير هذا كله إلى أن الرخاء الذي سيقوم التنين بإسباغه على الأحياء خلال الخدمة الكهنوتية الخاصة بالموتى الراقدين في نطاق منطقته لن ينقطع البتة، بل سيكون مثل هذا النهر الغزير المتحرك أمام أعيننا إذ سيبقى دوماً ويريح الأحياء الذين منحوا هذه العطية لسنوات عديدة».

وأخذ يفسر نظريته موضحاً: «ستتحقق أمنية الثروة العظيمة والمناصب الرفيعة في قلب الإمبراطورية وغيرها من المميزات، فانظر إلى سلسلة الجبال التي تتلألأ قممها تحت أشعة شمس

Twitter: @ketab_n

الصباح المشرقة المتوهجة في كبد السماء ولاحظ الشكل البعيد المرسوم بدقة الذي يتحدد من قمتها، ستجد أنه ما هو إلا إحدى الصخور ولكن لاحظ محيطها أو حدودها، ستلاحظ كيف تتشكّل كأحد القضاة النبلاء في أفخم الثياب الرسمية واقفاً أمام أعيننا شاخصاً نحونا».

وختم العالم حديثه بالقول: «أنصحك بشدة بشراء هذه الأرض التي نقف عليها الآن مهما كلفتك من أموال، فهنا ستتحقق كل أحلامك وطموحاتك التي شغلت قلبك وعقلك منذ وقت طويل، وستغدق الأموال والثروات الطائلة على أسرتك، كما سينعم أفراد عائلتك وأحفادك بتولي أرقى المناصب الوظيفية داخل الإمبراطورية ليس فقط من خلال التنين ولكن أيضاً من خلال الأرواح الخادمة له».

وشعر يين بسعادة بالغة بعد التوقعات التي صرح بها العالم والتي رسمها أمامه في لوحة رائعة زاهية مبهجة من أروع الكلمات، ووافق يين بمنتهى السعادة والرضا على الاقتراح الذي قدمه العالم فيما يتعلق بضرورة بدء رحلته بشراء تلك الأرض لتكون مدفناً لأسرته.

وفي تلك اللحظة بالتحديد، أتى رجل يمشي الهوينى رغبة

Twitter: @ketab_n

منه في معرفة ما يفعله هذان الغريبان في هذه البقعة البعيدة عن العمران والبعيدة كل البعد عن أي طريق ولا تتفرع منها أي ممرات جانبية أو طرق فرعية تؤدي إلى القرى المجاورة لها.

فابتدره يين بالسؤال قائلاً: «أيمكنك أن تخبرني أيها السيد من مالك هذه الأرض؟».

وأجاب الرجل: «نعم يمكنني ذلك بمنتهى السهولة طبعاً، هل ترى ذلك الكوخ الصغير المتهدم هناك على ضفة النهر؟ إنه لرجل يدعى لين، يقيم فيه مع زوجته وابنته التي تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً، وهي أسرة تعيش حياة الفاقة والعوز، والثروة الوحيدة التي يمتلكها لين تتمثل في قطعة الأرض التي تستفسر عنها والتي ورثها عن أجداده وأسلافه القدماء والتي يتمنى يوماً إن يبيعها لشخص ثري كمدفن للموتى مما قد يجلب عليه الحظ السعيد».

وهنا أوضح له يين قائلاً: «إذا كان هذا هو الوضع فأنا أرغب بشراء هذه الأرض فقط لو استطعت الحصول عليها بسعر معقول، وسأكون سعيداً جداً لو وافقت على التوسّط بيني وبين هذا الرجل، هلا يمكنك التوجه في الحال إلى الكوخ الذي يقيم فيه لين لترى الشروط التي بموجبها قد يوافق على بيع قطعة الأرض ونقل ملكيتها لي؟».

Twitter: @ketab_n

وفي الصباح الباكر عاد الوسيط وأخبر يين عن عدم موافقة لين على بيع قطعة الأرض لأي مخلوق من دون أي شروط أو اعتبارات خاصة، وأضاف قائلاً: «في الحقيقة، يفكر لين بهدف معين يرغب في تحقيقه من بيع هذه الأرض بالتحديد والقيام بإتمام الصفقة بنجاح، فالعمر يتقدّم به وبزوجته ويخشى على ابنته الوحيدة من عدم الزواج وانقراض أصول عائلته؛ لذا يطمح في إيجاد زوج لابنته يدخل بيته ويصبح جزءاً من العائلة بصفته صهراً له».

عقد يين العزم على تملك هذه الأرض بأي وسيلة حتى بعد أن أسفرت المفاوضات عن القرار النهائي لمالكها لين والذي لن يتزحزح عن موقفه بتاتاً، وفي نهاية الأمر، اتفقا على زواج ابنة لين من شونج أكبر أبناء السيد يين، وعلى انتقال والديها إلى قصر أسرة السيد يين ليعيشا معاً في إحدى غرف القصر وينعما معاً بالراحة والرخاء حتى نهاية العمر، ونتيجة لما بدا على يين في بادئ الأمر من كرم وسخاء شديدين، كانت الصفقة لتبدو ناجحة ونموذجية، غير أنه نظراً لطبيعة يين التي تتسم بالبخل الشديد والتي تهوى جمع الأموال والجري وراءها بالفطرة، فقد انتهى الأمر نهاية مأساوية.

فلم تكد عملية انتقال سندات ملكية قطعة الأرض تنتهي،

Twitter: @ketab_n

حتى قام يين بنقل جثمان والده الذي دفن منذ وقت بعيد في مكان بعيد عن نفوذ وسلطان مملكة التنين إلى الأرض الجديدة، ليكون على اتصال بالأرواح العليا في العالم السفلي، كما سيتمكن أيضاً من رؤية وجه القاضي المبجل الذي سينظر باتجاهه ليلاً نهاراً والذي سيمنحه قوة خارقة غامضة لتحويل أحفاده وأبنائه إلى علماء يرتقون أعلى المناصب الرسمية في خدمة الإمبراطورية.

وفي الوقت ذاته، كانت الاستعدادات الخاصة بإتمام زواج هذه الفتاة التي تنتمي إلى الطبقة الفقيرة بشاب ينتمي إلى طبقة أعلى من تلك التي حلمت بالانتماء لها طوال عمرها ماضية على قدم وساق. وكانت بيرل فتاة جميلة جذابة ذات مظهر رقيق، وكان بإمكانها أن تكون زوجة نموذجية لأي رجل من طبقتها، لكنها كانت غير ملائمة تماماً لتلك المكانة الاجتماعية الرفيعة التي ستحظى بها بعد انضمامها إلى عائلة يين الثرية والعيش معهم في منزل الأسرة، فقد كانت فلاحة بسيطة و لم تحصل على أي قسط من التعليم، كما عاشت حياتها دائماً في فقر مدقع، وعلى الرغم من كونها فتاة طيبة غرست فيها العديد من المثل الرفيعة التي يتمتع بها كثير من الناس في الصين، كان وضعها الطبيعي يحتم عليها مواصلة حياتها مع تلك الطبقة

Twitter: @ketab_n

الفقيرة التي انحدرت منها وعاشت معها طوال حياتها.

وساورت والداها شكوك كثيرة حول جدوى زواج ابنتهما من شاب ينتمي إلى أسرة عريقة من طبقة عليا مثل أسرة يين، لذلك وقف كلاهما لفترة طويلة في وجه جميع المناقشات التي جرت بشأن هذه الزيجة من أجل إتمامها، وفي النهاية وافق الوالدان مرغمين على الانتهاء من مراسم الزواج متأثرين باندفاع يين ورغباته، ومتخوفين من التوقعات والآمال التي عقداها على هذا الارتباط ليس فقط على الابنة وحدها ولكن عليهما أيضاً بعد الاتفاق على العيش في منزل أسرة يين في راحة ورغد من العيش لبقية حياتهما.

وكي تبدو بيرل في مظهر أنيق بين أقاربها الجدد، باع والدها كل ما تبقى من ممتلكاته ليشتري لها ملابس ملائمة للزواج.

وكانت فكرته عن جمال هذه الأشياء واعتقاده بأنها ستناسب الوسط الجديد قد اعتمدت فقط على البيئة المحيطة التي عاش فيها طوال حياته أما الأقمشة الحريرية والكتانية الفخمة والمجوهرات الثمينة التي تتزين بها العرائس في الأسر الثرية فلم تخطر بباله قط، وكانت بيرل ما تزال فتاة جميلة وكانت عيناها السوداوان تعكسان دائماً شعورها بالفرحة والسرور، علاوة على ابتسامتها الجميلة التي تبدو كسحابة رائعة في سماء أحد الأيام الصيفية

Twitter: @ketab_n

الحارة، فاحتاجت بذلك لقليل من الزينة كي يمكنها اختطاف قلب الرجل الذي يستطيع تقدير امرأة حقيقية حين يراها.

وحان الوقت المحدد الذي تعجله يين برغبته الجامحة في إتمام الأمر برمته والانتهاء من هذا الزواج بعد إخلاء الكوخ الصغير وانتقال سكانه إلى منزله الفخم الذي يقع أعلى قمة أحد التلال المجاورة.

وشقت محفة العرس الرائعة بلونها القرمزي الزاهي – الذي جعلها جسماً متألقاً وسط فضاء الأرض الترابية الرمادية – طريقها باتجاه الكوخ الذي كانت العروس تقيم فيه وترتدي ثياب الفرح وتتم استعداداتها للخروج منه في اللحظة التي وصلت فيها المحفة إلى أبواب الكوخ.

وسارت أمام هذه المحفة فرقة موسيقية هزت بأنغامها الموسيقية ومعزوفاتها الغريبة أركان البلدة، فبدت تسبح فوق الهواء في تحد سافر مرسلة صداها ليعتلي قمم الجبال والتلال المختلفة وليكسر جدران الصمت داخل الأودية الساكنة، كما كانت هناك حشود هائلة من خدم الرجل الثري يين، وارتدى جميعهم ملابس شبه رسمية واندفعوا تعلو وجوههم ابتسامة واسعة مطلقين صيحات الفرح والسعادة، فقد كانت المناسبة كالاحتفال بالعيد، واستمرت أطباق الطعام والموائد التي يندر وجودها عادة ومظاهر الكرم لعدة أيام فسلبت عقول القائمين

Twitter: @ketab_n

على الموكب المكلف باصطحاب العروس.

ولقد كانت عودة الفرقة الموسيقية شديدة الصخب، فبدا على أعضاء الفرقة التأثر بجو الفرحة والسعادة الشديدين اللتين سادتا المكان في هذه المناسبة الرائعة، فأبدعوا وعزفوا أروع الألحان الموسيقية والأغاني من خلال أدواتهم وآلاتهم المختلفة التي بدت على علم بما يدور حولها وباعتماد أعضاء الفرقة عليها لإسعاد الحاضرين، فاستجابت لجهودهم وملأت الأرض والسماء بأعذب النغمات وأبدع الألحان الموسيقية الصاخبة.

واجتمع عدد من الأفراد معاً لاستقبال العروس التي تقدمها زوجها من المحفة القرمزية، فسارا بخطوات متأنية بطيئة ومشاعر مضطربة حتى وطأت أقدامهما الحجرة المخصصة لاستقبالهما، وبمجرد دخول العروس الجميلة إلى المنزل، أحست وكأن شيئاً غامضاً في الهواء المحيط قد أدخل على قلبها الرعب والكآبة فسحق أمنيات السعادة التي حلمت بها تحت أقدام الخوف وماتت هذه الأمنيات والأحلام على الفور.

وكان زوجها شونج يتميز بعقلية خسيسة ويتحلى بقدر ليس بقليل من الوقاحة والغلظة، وقد اعترض من قبل على الزواج من امرأة لا تنتمي إلى الطبقة الاجتماعية العليا التي نشأ فيها، وعندما

Twitter: @ketab_n

رأى عروسه بأسلوبها الريفي البسيط وملابسها المتواضعة جداً التي ارتدتها بمناسبة حفل الزواج، شعر بالخزي والضيق وأدرك ضحكات السخرية التي بدأت تكسو وجوه جميع الحاضرين عندما رأوها. فاجتاحت قلبه وعقله الضيق مشاعر مختلطة مركّبة من الكراهية، وبمرور الأيام وضع شونج هدفاً وحيداً نصب عينيه ألا وهو إذلال هذه المرأة التي تم التضحية بها في منتهى البساطة لإرضاء رغبات والد زوجها الثري وتحقيق مخططاته وطموحاته الطامعة، فتجاهل شونج زوجته لعدة أسابيع، وبدأ في معاملتها بقسوة تدريجياً حتى دفعها للتفكير أكثر من مرة في وضع حد لحياتها المريرة، وهو ما اتضح بعد ذلك كمحاولة منظمة ومخطط لها جيداً من قبل الوالد وابنه للتخلص من تلك العائلة برمتها.

ومضت الأيام على هذه الشاكلة حتى شعر والدا العروس اللذان وافق السيد يين على إعالتهما لبقية العمر، بصعوبة حياة ابنتهما لدرجة لا تطاق ولا تحتمل مما دفعهما طوعاً إلى مغادرة المساحة التي تم تخصيصها لإقامتهما داخل هذا المنزل البائس الكئيب والعودة إلى الكوخ البسيط الذي عاشا فيه حياتهما من قبل، وبما أن الوالدين قد قاما ببيع كل ما يمتلكانه من أثاث لشراء الملابس الخاصة بالزواج، فقد كان الكوخ فارغاً تماماً من أي

Twitter: @ketab_n

أثاث، فصنعا سريراً بسيطاً من حزم القش وثبتاه على الأرض غير أنهما لم يجدا أي طعام لإشباع الجوع الذي شعرا به وتخفيف آلامهما في هذا الفقر المدقع والبؤس الشديد.

وقد تسبب الأسى والحزن الشديدان جراء سوء معاملة ابنتهما، علاوة على شعورهما بخيبة الأمل والإحباط وانكسار القلب كلما فكرا بالطريقة التي خدعهما وضللهما بها السيد يين كي يتمكن من الاستحواذ على قطعة الأرض الخاصة بهما، في زيادة إحساسهما بالكآبة والضيق، حتى أنهما شعرا بالمرض وبدأ كل منهما يعاني من أعراض حمى أفقدتهما القدرة على الحركة فاستلقيا على ذلك السرير المصنوع من القش، وظلا لفترة طويلة منعزلين عن الآخرين، ولم يعلم أحد بمرضهما، وعلى ذلك، مرت الأيام من دون أن يزورهما أحد، إلى أن توجه فلاح بسيط طيب القلب في النهاية للسؤال عن صحتهما، ففوجئ بمشهد عجيب أثار دهشته ورعبه في آن معاً، إذ دخل المكان فوجد الزوجين راقدين جنباً إلى جنب في هذا المكان البائس بعد أن توفيا معاً وفارقا الحياة للأبد.

وبالطبع، فقلد أسعد كثيراً نبأ وفاة الزوجين قلب ذلك الرجل الخسيس الذي كان السبب وراء كل ما حدث لهما، ذلك أنه تحرر

Twitter: @ketab_n

الآن من القيود التي ألزمته برعايتهما وإعالتهما في الأيام المتبقية لهما من العمر، وبالتالي سيتمكن من توفير قدر كبير من المال كان يتعين عليه استخدامه وإنفاقه في رعايتهما وتوفير الغذاء والكساء لهما.

وظهرت ابتسامة باردة وقاسية على وجه يين المتبلد واستمرت تلك الابتسامة مرتسمة على وجهه لعدة أيام متتالية بعد دفن الزوجين لينعما بالراحة الأبدية بجانبي التل إلى جوار الكوخ، فكانت تلك الابتسامة الماكرة هي علامة الحزن أو الحداد الوحيدة التي كست ملامحه.

ومنذ ذلك الوقت، شكلت حياة بيرل بعد وفاة والديها عبئاً كبيراً عليها، فهي لم تحصل قطّ على الحب باعتباره الشيء الوحيد الذي كان من المفترض أن يملأ قلبها بمشاعر السعادة والبهجة، وبدلاً منه كانت توجه لها دائماً تلك الكلمات الحادة القاسية وتصفعها نظرات التوبيخ الساخرة – وكانت كل تلك الأفعال هي ما استطاعت بيرل أن تحصل عليه خلال زواجها بهذا الرجل القاسي.

وبعد مرور بعض الوقت، وإمعاناً في إذلال بيرل، قرر الزوج أن يبدي لها مزيداً من الازدراء والاحتقار، فرتب مع والده أن يحضر خليلته إلى منزل الزوجية، إذ تنتمي هذه السيدة إلى أسرة

Twitter: @ketab_n

عريقة ومحترمة إذا ما قورنت بأسرة زوجته، وتم إقناعها بلعب هذا الدور واحتلال هذه المكانة الثانوية بعد المبلغ النقدي الكبير المدفوع لوالدها، مما زاد من حزن بيرل وهمها، وتنفيذاً لتعليمات الزوج الخسيس والشعور بالغيرة المريرة من المرأة الريفية الفقيرة التي منحتها سلطة القانون مكانة أعلى منها في هذه الأسرة، استغلت هذه السيدة الحاقدة كافة السبل الممكنة لجعل حياة بيرل أكثر بؤسا وشقاء.

لقد تسببت وفاة الوالدين في ملء قلب بيرل بحزن عميق حتى فقدت الحياة كل معانيها بالنسبة لها، كما أدركت من السعادة التي ارتسمت معالمها بكل وضوح على وجوه جميع أفراد أسرة يين بعد النهاية المأساوية لوالديها، أنهم لن يشعروا بالرضا الكامل حتى تلقى بيرل مصير والديها نفسه فتموت وتنطلق إلى أرض الأرواح، لذا كان عليها دائماً أن تترقب الأغراض القاسية التي يضمرها لها زوجها ووالده فتنقذ نفسها من شعور الظلم والاضطهاد الذي سينتهي بها إلى طريق واحد فقط هو الموت.

وفي إحدى الليالي المعتمة وبعد انتصاف الليل، خيم على المنزل جو من الهدوء والصمت بعد أن أخلد جميع أفراد الأسرة إلى الراحة وغطّ الجميع في نوم عميق فلم يكن يسمع أي صوت بالخارج ولا حتى دبيب نملة إلا صرير الرياح التي بدت وكأنها

Twitter: @ketab_n

تستعد لعزف أنغام قداس الموتى وإنشاده على روح بيرل، لذلك اتخذت بيرل قرارها بالانتحار شنقاً داخل غرفتها لوضع حد لأحزانها ومآسيها الدنيوية ونفذت قرارها بالفعل.

وعندما تم اكتشاف الجثمان في اليوم التالي، متدلياً من خطاف معقوف في أشعة الشمس، أطلق يين وابنه شونج صيحات تنم عن فرحة كبيرة وبهجة لا مثيل لها، بعد أن شعرا الآن بالتحرر من جميع قيود الالتزام تجاه مثل هذه الأسرة الفقيرة من دون اللجوء إلى استخدام أي وسيلة من وسائل العنف والقهر، وبعد دفع أقل التكاليف مقابل الحصول على ملكية الأرض التي يفترض بها إثراء أبناء العائلة وأحفادها ومساعدتهم على تولي أعلى المناصب وشغل أرفع الوظائف داخل الإمبراطورية.

وبينما رقد جثمان الفتاة الفقيرة بلا حراك وانساق إلى النهاية الأبدية مبكراً، بسبب أرواح أكثر قسوة وخبثاً وشراً من أي أرواح أخرى يفترض بها التحليق في السماء، مصحوباً بكراهية ومقت واضحين داخل قلوب أسرة يين وفي ابتساماتهم وضحكاتهم في الأجواء المحيطة، علاوة على التهاني الكثيرة المتبادلة بين الوحوش والأرواح الشريرة المقيمة في هذا المنزل فقضت بظلمها واضطهادها على الفتاة المسكينة بعدما جعلت حياتها غير محتملة.

Twitter: @ketab_n

وبناء على فكرة الثواب والعقاب الخالدة في حياة البشر، أخذت السماء في التحرك شيئاً فشيئاً لمعاقبة الأشرار، فكانت تسير بخطوات واثقة تسافر لمسافات بعيدة لتنتقم من الظالم وتعاقبه على أخطائه.

وفي إحدى الليالي المظلمة، عندما خلا قلب السماء من القمر والنجوم، وهبت عاصفة هوجاء من العنف فملأت الأجواء بنوبة من الأنات والأصوات الغاضبة، كان هناك مشهد رهيب عند القبر الراقد فيه جثمان والد يين، فقد امتلأ المكان بأصوات خافتة من النحيب والبكاء، كما كان هناك صراخ واضح كأنما كافة شياطين العوالم السفلية اجتمعت للاحتفال معاً.

وبدأت الصيحات والصرخات في اختراق عتمة الليل وعصف الرياح فطغت فوق صوت العاصفة العاتية، وحينئذ استيقظ السكان والأهالي في البيوت وهبوا مذعورين من نومهم بعد هذه الأنات التي جمدت الدماء في عروقهم من الرعب والفزع، وأخيراً هبت صاعقة رعدية من السماوات المظلمة فكانت أصعب بكثير مما سمع أو شهد أي رجل من قبل، كما ضرب البرق السماء وركز قواه على القبر الذي يرقد التابوت بداخله، فتجسدت هذه القوى وقامت بشق صدع كبير في

Twitter: @ketab_n

باطن الأرض وأمسكت بالتابوت بين أصابعها فقذفته بازدراء واحتقار شديدين على بعد ميل واحد فقط من جانبي التل.

وبعد رحلة طويلة من البحث، اكتشف السيد يين الحادث في اليوم التالي من إلقاء التابوت في هذه البقعة وبينما كان عائداً لإعداد الترتيبات الخاصة بإعادة التابوت إلى القبر، ظهر جسمان غريبان من غير ساكني الأرض في بقعة نائية وساكنة من الطريق أمام يين فجأة، فأدرك على الفور، بعد الذعر الشديد الذي أصابه، أن الجسمين يمثلان روحا والد بيرل ووالدتها اللذين لقيا حتفهما بسببه واللذين أذن لهما يام لو بزيارة الأرض مرة أخرى للانتقام من الرجل الذي تسبب في هلاكهما وإزهاق روحهما، وبينما بدت ملامح الرعب الشديد على وجه يين حين رأى روحي والدي بيرل، سقط مغشياً عليه في الحال ودخل في غيبوبة عميقة، حتى تمكن ابنه من العثور عليه بعد عدة ساعات من البحث عنه.

وقد تلقى السيد يين العناية اللازمة وحظي بأشد مظاهر الاهتمام لعدة أيام على التوالي، وجيء بأمهر الأطباء وأشهرهم لمعالجته ووصف الدواء الملائم لحالته، بيد أنه لم يتمكن قط من استجماع قواه ولملمة شتات نفسه، فكانت هناك دائما نظرة حائرة وغامضة في عينيه كأنه يرى رؤية مفزعة تخيفه وتمنعه من

Twitter: @ketab_n

استعادة وعيه وعودته إلى الحياة من جديد.

وقد توفي يين على هذا الوضع، من دون أن يلقي نظرة أخيرة على أفراد أسرته الذين أحبهم من صميم قلبه وبذل أقصى ما في وسعه لإسعادهم وإراحتهم ودون ترك أي تفسير أو دليل واضح أمامهم وراء سبب هذه النهاية الأليمة لحياة كانت في مستهلها.

وبطبيعة الحال أصبح الآن شونج، الابن الأكبر، المتحكم الرئيسي في ثروة الأب؛ غير أنه بدلاً من الاستفادة من الدرس والعظة من الحكم القاسي الذي وقع على منزله وأسرته بسبب ظلم واضطهاد أسرة طيبة بريئة، صار أكثر قسوة ووحشية ورعونة في معاملته لجميع من يتعاملون معه ويعملون لديه، فلم يشعر الابن قطّ بالندم ولو للحظة و لم يعمل على إصلاح أفعال القسوة والوحشية التي قاد من خلالها زوجته إلى الانتحار شنقاً هرباً من طغيانه واستبداده المستمر، ولكن خطوات القدر كانت تسير بطيئة متثاقلة تجاهه – كما لو كانت إنساناً أنهكه التعب والإعياء فلا يقوى على السير سوى ببطء شديد مثقلاً بهمومه – لتنفذ انتقام الآلهة منه.

بعد فترة من الوقت أصبحت الغرفة التي انتحرت فيها بيرل مسكونة بأرواح عديدة، وقد أصبح ظاهراً للعيان إمكانية رؤية

Twitter: @ketab_n

طيفها المتلألئ اللامع أثناء تحركه وتجوله داخلاً وخارجاً من باب غرف المنزل وتعلو وجهه نظرة من الألم العميق والحزن الشديد، وفي بعض الأحيان كان يرى الطيف في حركة وقلق واضطراب عند بزوغ الخيوط الأولى من الفجر، كأنما بيرل تهيم على وجهها في الفضاء الفسيح طوال الليل دون وجهة معلومة؛ ثم تنتقل بسرعة شديدة في ضوء القمر فتدخل المنازل المختلفة في صورة شبح تكسو وجهه هذه النظرة القديمة البريئة الساحرة التي كانت تعلو ملامح وجهها الطفولي في حياتها الأولى.

وحين أدرك الجميع أن روح بيرل هي التي تسكن منزل أسرة السيد بين، ساور جميع أفراد الأسرة قلق بالغ ودقت نواقيس الخطر لتعلن حالة من الترقب والانتظار، فلا يوجد ما هو أفظع من ظهور أرواح الموتى الذين عانوا في حياتهم الكثير من الظلم والاضطهاد والإساءة حين يحضرون عادة للانتقام ممن أساء إليهم، ولا تهم البتة الطبيعة الطيبة لهؤلاء الأشخاص أثناء حياتهم الأولى، إذ تتبدل تلك الطبيعة تماماً بعد الموت وتحدوهم رغبة جامحة في التسبب في إيقاع مختلف صور الضرر والأذى، وبخاصة الموت، لمن يكرهون بعد أن تسببوا في ظلمهم ومعاملتهم بمنتهى القسوة.

Twitter: @ketab_n

ولقد كان معروفاً للجميع النهج الذي سار عليه شونج، الزوج، في القسوة على زوجته بيرل ومعاملتها بصورة حيوانية وحشية حتى دفعها إلى الانتحار، ولذلك لم يكن حضور روح بيرل الآن للانتقام منه أمراً مفاجئاً أو مثيراً للدهشة؛ غير أن الجميع انتابهم خوف ورعب شديدين من إصابتهم بأي مكروه في ظل عقاب بيرل لزوجها شونج والمفترض توزيعه على جميع أفراد العائلة.

وبينما استمر الشبح في الظهور والبقاء بالمنزل والتحرك بحرية تامة بين جنباته وأركانه، من دون ظهور أي رغبة لدى هذا الشبح بالاختفاء والزوال، اجتاحت شونج مشاعر الخوف خشية وقوع كارثة ما بمنزل أسرته، ورغبةً منه في حماية نفسه من أي هجوم غير متوقع من روح بيرل التي تجولت وتحركت بخفة وحرية شديدة في الظلام داخل الغرف غير المسكونة داخل المنزل، اشترى شونج لنفسه سيفاً وشحذه ليصبح حاداً باتراً ثم حمله في يده مرفوعاً ليطعن به بيرل بقوة إذا واتتها الجرأة لمهاجمته.

وفي إحدى الليالي، توجه شونج لسبب ما إلى إحدى الغرف التي كانت خليلته تقيم فيها دون دراية منه بالعدد الهائل من الأرواح التي تسكن هذه الغرفة، فأحكمت روح زوجته السابقة قبضتها على يده في عنف شديد أفقده القدرة على المقاومة مما

Twitter: @ketab_n

اضطره إلى توجيه ضربات عديدة متكررة باتجاه خليلته الضعيفة التي لا تقوى على الدفاع عن نفسها. فرقدت في النهاية ساكنة تماماً لتلتقط أنفاسها الأخيرة بعد الجروح الغائرة التي أصابتها فتدفقت أنهار من دمائها على أرض الغرفة.

وبعد أن خفف الشبح من إحكام قبضته على يد شونج أصبحت لديه القدرة على رؤية ما أقدمت يداه على فعله، وأصابت شونج صدمة كبيرة تفوق أي وصف حين وقعت عيناه على ذلك المنظر البشع المخيف القائم أمامه، فعرف الحكم الذي نزل به نتيجة ظلمه وأفعاله الوحشية ضد بيرل وأسرتها البسيطة.

وبمجرد انتشار أنباء قتل السيدة ومعرفة والدها بتلك الأخبار، قدم شكوى رسمية لأقرب قاضي بالبلاد، وهو القاضي الذي قام لتوه بإصدار أمر بالقبض على شونج، وأثناء انعقاد جلسة المحاكمة، حاول شونج الدفاع عن نفسه نافياً قيامه بقتل خليلته، مشيراً بأصابع الاتهام إلى قيام روح شريرة بقتلها بعد أن أحكمت قبضة يدها على ذراعه فوجهت هذه الضربات المتكررة لخليلته متسببة في قتلها.

وعند سماعه لهذا الدفاع الواهن، ارتسمت على وجه القاضي ابتسامة خفيفة، ثم قال لابد وأن شونج يعتبره شخصاً أحمق لو

Twitter: @ketab_n

فكر للحظة واحدة باستعداده لقبول هذا الدفاع الواهي وغير المقبول كتبرير لتلك الجريمة الشنيعة التي قام بارتكابها.

وبما أن شونج امتلك ثروة طائلة وأموالاً لا حصر لها، وبما أنه اعتاد على تقديم الرشى لصغار الموظفين داخل مختلف مكاتب العمل بالإمبراطورية، فقتم رد دعـواه حتى يرى الجميع كم سينفق من المال لإنقاذ نفسه من هذا المأزق قبل إصدار حكم نهائي عليه، ولقد أثارت جريمة إحدى السيدات المنتميات لأسرة محترمة ومعروفة في المجتمع، مشاعر السخط والغضب وثار الرأي العام وأدان بشدة ما قام به شونج.

وأيد الجميع إنزال أقسى درجات العقوبة بالمتهم ليكون عبرة لمن يعتبر ويأخذ غيره العظة في القضايا المماثلة؛ وإلا استطاع أي رجل ثري الوقوف بوجه كافة المبادئ والقوانين السماوية الموضوعة لتنظيم المجتمعات ومنع وقوع الجرائم.

وقامت والدة شونج بإنفاق أموال طائلة لتسهل فترة إقامة ابنها داخل السجن عن طريق تقديم رشى كبيرة لكافة المسؤولين والعاملين ذي الصلة، و لم تتوافر قط أي فرصة للمرؤوسين الجشعين المناط بهم هذه القضية من قبل الإمبراطورية بهدف إقامة العدالة بين المواطنين لجني ثمار مثل هذا المحصول الذهبي، فباعت الوالدة حقلاً زراعياً

Twitter: @ketab_n

وراء الآخر بسبب قلقها الشديد على ابنها داخل السجن لتوفر النقود اللازمة للوفاء بمتطلبات هؤلاء المسؤولين الطماعين، إذ أشار عدد منهم إلى الخطر المحدق الذي يهدد حياة شونج، وبالتالي كان على الأم بيع ممتلكات جديدة كل يوم لتقديم الرشوة للقاضي المختص ليكون رحيماً عند إصدار الحكم النهائي على شونج في القضية.

وبعد فترة، باعت الأم كافة أملاك الأسرة وبددت ثروتها بالكامل وعندما علم القضاة المختصون بعدم قدرتها على توفير مزيد من النقود، تم إصدار الحكم النهائي على شونج ومعاقبته بالسجن مدى الحياة، فكان قرار المحكمة صفعة قوية هزت الأم التي تمنت طوال الفترة الماضية تبرئة ساحة ولدها من الجريمة المنسوبة إليه نظير الأموال الطائلة التي دفعتها في سبيل إنقاذه من مصيره المحتوم، ثم ماتت الأم بعد أسابيع قليلة كمداً بسبب حزنها الشديد على شونج بالإضافة إلى تذوق غائلة الفقر المدقع الذي بدأ ينهش في أسرتها، وبينما شونج يتأمل مستقبله المظلم لم يجد أمامه إلا السجن خلال ما تبقى له من العمر، وعلى إثر إحساسه المرير باليأس والقنوط قام بالانتحار ووضع حداً لحياته التافهة التي عاشها دون قيمة.

وبعد تداول تلك القصة بنهايتها المأسوية انتاب الرضا جميع الناس بالنهاية الدرامية الحزينة التي أصابت تلك العائلة

Twitter: @ketab_n

المشؤومة، والتي كانت تعيش منذ عام واحد مضى في ترف من العيش وتمتلك ثروات طائلة وأملاكاً لا حصر لها، وعندما فهم الجميع مغزى هذه القصة المفزعة اقتنعوا بأن حكم المحكمة هو الحكم الأمثل باعتباره القصاص العادل من السماء، التي تحرص دوماً على حياة الإنسان، فإن قام شخص ما بإزهاقها صار لزاماً عليه أن يخضع لقوانين السماء وقصاصها العادل فيسحق تحت عجلات انتقام العدالة.

Twitter: @ketab_n

سام شونج وشيطان الماء

يُعتبر سام شونج واحدًا من أشهر الرجال في تاريخ الدير البوذي، فقد اشتهر بتميزه عن الآخرين بجديته وإنكاره للذات والذي انخرط فيهما سعيًا وراء الحياة الأبدية. وكان ذهنه دومًا منشغلاً بالآلام والأحزان التي قدر للبشرية أن تتحملها. وحتى الآلام والأحزان، على الرغم من بشاعتها كان من الممكن أن يتحملها سام شونج إن لم تكن لها نهاية، في حالة كل إنسان على حدة، وفي الكارثة الكبرى التي تحل بالجميع عند انتهاء الحياة.

وكان الموت هو الغموض الأكبر الذي يلقي بظلاله على كل إنسان. إذ كان يغزو المنازل، ولا يستطيع أن يفر من هذا القدر البشري حتى أحكم الحكماء، الذي كانت مزاياه وتعاليمه هي السبيل لإنقاذ أجيال لا حصر لها، ويجب في يوم من الأيام أن يخضع لهذا القانون الكبير. وحتى الرجال سيئو السمعة ذوو الشخصيات الوضيعة كانوا يعيشون أكثر من الأبرار، ولكنهم أيضًا كانوا يغيبون عن حياتنا دون أي مراسم متى رأت الآلهة ذلك مناسبًا. وحتى الأطفال الذين لم ينتهكوا قط أي من قوانين

Twitter: @ketab_n

السماء كانوا يرضخون لذلك السوط الكوني، حتى أن العديد منهم، من الذين قد بدأوا الحياة لتوهم، كانوا يطردون إلى أرض الأرواح بفعل تلك القوة الغامضة التي تغلب على حياة البشر.

وهكذا أراد سام شونج أن يتحرر من قوة الموت حتى لا يتجشم طائر الموت عناء الجثوم على صدر حياته في السنوات الآتية.

وبعد القيام بعدة استفسارات ودراسات، ومن خلال تلميحات الأصدقاء، الذين كان يعتقد أنهم جن مرسلون من قبل إلهة الرحمة، وكانوا دائماً ما يتخفون ويتنكرون في أشكال مختلفة من أنماط البشر لمساعدة أولئك الذين يطمحون لعيش حياة أرقى، عرف سام شونج أنه من الممكن من خلال السعي الدائم وراء حياة مليئة بالحسنات وفعل الخير أن يصل الإنسان إلى المرحلة التي يفقد فيها الموت قدرته على إصابته فيصبح خالداً ويستطيع عيش حياة الأبدية. ومن الممكن أن يتمتع الرجال والنساء جميعًا بنعمة الحياة إذا ما كان على استعداد لدفع الثمن مقابل الحصول على هذه النعمة التي لا تقدر بمال. والتي يمكن الحصول عليها فقط من خلال إنكار الذات والاستعداد لتكبد العناء، وبشكل خاص من خلال إظهار الحب العميق والتعاطف مع أولئك الذين يتعرضون للألم أيًا كان نوعه. ولقد تبين أن الشيء الوحيد الذي تطلبه الآلهة من أولئك الذين يتطلعون إلى الترقي إلى مراتبها هو امتلاك الحب الإلهي وأن يكون هدفهم الأساسي إنقاذ البشرية

Twitter: @ketab_n

المعذبة. ومن دون ذلك الحب فإن أي تضحية قد تتم سعيًا وراء السلوكيات المنافية للأخلاق سوف تكون عديمة الفائدة تمامًا.

وكان سام شونج يعي تماماً أنه له حظوة لدى الآلهة، فلقد منحته الآلهة رفيقان، كلاهما يتمتعان بقوات خارقة وذلك لتمكينه من التغلب على الخطط الشريرة التي تدبرها الأرواح الشريرة، التي تخطط دومًا لإحباط وتدمير تلك القلوب التي تتطلع إلى السمو والارتقاء.

وذات يوم، فيما كان تشياو وتشو، الرفيقان المكلفان من قبل إلهة الرحمة بمرافقته، يصطحبانه، بدأ سام شونج رحلة طويلة لعبور نهر تيان هو الشهير، وهو النهر الذي يمثل عبوره حلم كل حاج يرغب في إكمال رحلة الحج الخاصة به وصولاً إلى أرض الخلود. وتحمل موكب الرجال أسابيع عديدة من السفر الشاق المؤلم فوق الجبال العالية وعبر الصحراء الغابرة حيث لقي الكثيرون حتفهم من العطش أو من حرارة الشمس القاسية، وذلك قبل أن يلتقوا الأعداء من الشياطين الذين كانوا يتوقعون أنهم سيتربصون بهم.

وبعد أن أعياهم السفر وتقيحت أقدامهم من شدة التعب، استطاعوا في النهاية ذات ليلة الوصول بسلام إلى شواطئ نهر «تيان هو» الثائر في حين كانت الشمس في طريقها إلى الغروب.

Twitter: @ketab_n

وانعكست السحب الرائعة الجمال في الغرب على مياه النهر، مما جعلها تتألق بجمال بدا لأولئك المسافرين الذين أعياهم السفر وكأنه يحولهم إلى ما هو أرفع وأسمى من هذه الأرض وما عليها. كان النهر في تلك المنطقة متسعًا للغاية حتى بدا كأنه بحر داخلي. و لم يظهر أي أثر للأرض على مدى الأفق البعيد، لا شيء سوى آفاق صفحة المياه الواسعة الممتدة بعيدًا على مرمى البصر.

شيء واحد فقط على الرغم من ذلك هو ما خيب أمل سام شونج ورفيقيه ألا وهو عدم وجود أي نوع من أنواع القوارب التي يمكن عن طريق استقلالها عبور النهر بسلام. وكان الرفاق قد عقدوا النية على تأجير واحد من تلك القوارب ومن خلال عبور النهر في أثناء الليل، كان الأمل يحدوهم في الإسراع بهذه الطريقة في الطريق، وفي الوقت نفسه ينالون قسطاً من الراحة والانتعاش بعد الإرهاق الذي لاقوه في السفر وبعد تحمل المشقة والصعاب التي جابهوها أثناء رحلتهم الطويلة على الأرض.

والآن واجهوا مشكلة عويصة تتعلق بالمكان الذي سوف يقضون به ليلتهم، حيث لم يكن هناك أي أثر للحياة البشرية في المنطقة المحيطة، و لم يكن هناك سوى ذلك الشاطئ الرملي الممتد الذي يسيرون عليه، هذا إلى جانب امتداد النهر الواسع الذي بدأ

Twitter: @ketab_n

ضباب المساء في التجمع حوله، وما من أثر لوجود حياة. وفيما كان الجمع يتساءل عما سيفعل، انبعث في الهواء صوت خافت لبعض الأدوات الموسيقية، وتردد في آذانهم. وعندها هرعوا باتجاه ذلك المكان الذي انبعثت منه الموسيقى، وصعدوا إلى قطعة مرتفعة من الأرض، ومنها سعدوا برؤية قرية تستقر على جانب التل، إلى جانب ذلك المعبد الصغير الذي يقع على هامش النهر.

ولم يكن أحد في ذلك الوقت مدى السعادة والفرحة التي غمرت قلوب المسافرين لعثورهم على مكان يمكنهم قضاء الليل فيه، فهرعوا إلى المكان الواقع أمامهم. ومع اقترابهم أكثر فأكثر، صارت أصوات الموسيقى أعلى وأكثر وضوحًا. واستنتجوا أنه لابد من أنه هناك مهرجان من نوع ما، أو أن تجمعًا سعيدًا أو احتفالاً هو السبب في وجود مثل هذا التجمع. وما إن دخل المسافرون القرية، حتى اتخذوا طريقهم نحو منزل متميز عن باقي المنازل، إذ إن بناءه كان أفضل من باقي المنازل التي مروا بها. بالإضافة إلى أنه المنزل الذي كانت الموسيقى تنبعث منه، وحول الباب تجمع عدد من الأشخاص يبدو وأنهم كانوا يحضرون الاحتفال المقام في الداخل.

وما إن وصل المسافرون الثلاثة إلى الباب، حتى خرج شيخ ضعيف للقائهم. وحينما رأى أنهم أغراب، دعاهم بأدب إلى

Twitter: @ketab_n

الدخول، وعندما سأله سام شونج ما إذا كانوا سيسمحون لهم بالبقاء خلال هذه الليلة، أكد الرجل لهم أن هناك غرفة معدة لهم في المنزل، وأنه يسعده الترحيب بهم كضيوف في خلال المدة التي يرغبون في قضائهم معهم والحلول عليهم ضيوفاً أعزاء.

ثم توجه الرجل بالحديث إلى سام شونج ومرافقيه قائلاً: «في الوقت الحالي يمكنكم الدخول وتناول بعض الطعام، لابد من أنكم متعبون وجائعون بعد تلك الرحلة الطويلة، ولا تزال المناضد حافلة بما لذ وطاب مما جرى إعداده للاحتفال اليوم».

وما إن انتهى الرجال الثلاثة من تناول الطعام، حتى شرعوا في التحدث إلى الشيخ الذي كان يستضيفهم بطيبة وترحاب بالغين. وشعر الجميع بمنتهى السعادة والفرح من كياسته وضيافته لهم. إلا أنهم لاحظوا أنه كان شارد الذهن، وبدا كأن هماً ما يثقل كاهله ويجثم على صدره.

وعندئذ توجه سام شونج بالحديث إليه قائلاً: «هل لي أن أسألك عن السبب في هذا التجمع هنا اليوم؟ فهو لا يصادف أياً أعياد التقويم الصيني، ولذا فكرت في السؤال عن المناسبة التي تحتفون بها».

فأجابه الشيخ وقد ارتسمت ملامح الأسى والحزن على وجهه قائلاً: «لم نكن نحتفل بأي شيء، الواقع أنها كانت جنازة

Twitter: @ketab_n

اثنين من أحفادي، على الرغم من عدم موتهما بالفعل، إلا أنهما سيختفيان من هذه الحياة في خلال ساعات».

وبعد سماعه لهذه الكلمات الغريبة استطرد سام شونج وعلى وجهه أمارات التعجب قائلاً: «ولكن كيف تقام هذه المراسم لاثنين من الأحياء؟».

فقال الشيخ: «عندما أشرح لك الظروف والملابسات المحيطة بذلك، فلن تندهش من تلك المراسم غير العادية».

ثم واصل حديثه قائلاً: «عليك أن تعرف أن هذه المنطقة تقع تحت سيطرة شيطان متعطش للدماء. وهو ليس كالأرواح العادية التي تحبس صورها في معابدنا، والتي جلّ همها حماية معبوديها والحفاظ عليهم. لا، هذا الشيطان لا يحب البشرية، بل على العكس يكن لها الكراهية الشديدة، وشغله الشاغل في الحياة هو التخطيط للآلام والأحزان التي تنغص على البشر حياتهم. وتتجلى قسوته في إصراره على إرسال اثنين من الأطفال في ذلك الوقت من العام بالقرب من النهر كي يتم التهامهما من قبله. ولقد بذلت العديد من المحاولات لمقاومة ذلك المطلب البربري ولكنها لم تنجح إلا في زيادة معاناة الذين تجرأوا على معارضته. والنتيجة هي خضوع الناس لتلك الطريقة القاسية المتبعة في قتل

Twitter: @ketab_n

أطفالهم، على الرغم من تحطم قلوبهم لخسارة قرة أعينهم وأعز ما لديهم في هذه الحياة».

وحاول سام شونج أن يستطلع حقيقة الأمر أكثر من الرجل فبادره بالسؤال قائلاً: «ولكن هل من نظام معين يعرف من خلاله الأشخاص البؤساء متى ستطلب منهم تلك التضحية الغالية؟».

فأجابه الرجل قائلاً: «نعم تؤخذ العائلات بالدور، وعندما يحين دور كل منها، يتم إعداد أطفالهم للتضحية بهم. بالإضافة إلى ذلك لا مجال للخطأ، إذ يظهر الشيطان بنفسه داخل المنزل قبل بضعة أيام من ذلك الموعد المحتوم، ويصدر تهديداته لإعداد الضحايا في التاريخ المحدد. وأول أمس، صدر هذا الاستدعاء لنا كي نعد طفلينا في صباح اليوم التالي ما إن يطلع النهار. ولهذا فلقد أقمنا هذا الاحتفال اليوم، وأقمنا مراسم الجنازة للموتى، كي لا تظل أرواحهما تحت سيطرة ذلك الشيطان الذي لا يرحم، لكي يسمح لهما في وقت ما بالخروج من أرض الأرواح كي تعاد ولادتهما ثانية في ظروف أفضل من هذا العالم، الذي يغادرونه في مثل هذه الظروف المأساوية».

وهنا ابتدره سام شونج بالسؤال قائلاً: «وكيف يبدو هذا الشيطان؟».

Twitter: @ketab_n

فأجابه الرجل: «لا يمكن لأحد أن يعرف شكله، فليس لديه شكل تمكن رؤيته، وإنما نعرف وجوده من خلال هبوب الرياح القوية التي تملأ المكان برائحة معينة، وبتأثير غريب يجعلك تشعر كأن قبضة قوية تمسك بك، كما أنك تحني رأسك غريزياً كأنك في حضرة كائن يستطيع أن يدمرك في لحظة إذا ما رغب في ذلك».

وهنا تملك الفضول قلب سام شونج فسأل الرجل: «سؤال واحد أخير، من أين يأتي هذا الشيطان؟ وكيف تمكن من الحصول على تلك السيادة القوية فوق حياة البشر، حتى إنه يبدو كأن بمقدوره أن يتحدى السماء نفسها وكل من يعيش فيها من كبار الآلهة التي تعمل على تخليص البشرية؟».

فأجابه الرجل: «كان هذا الشيطان من قبل أحد ساكني الفردوس الغربي، تحت إمرة إلهة الرحمة، ولابد من أنه كانت لديه الكثير من أدوات الشر والغرائز الوحشية منذ البداية، فما إن سنحت له الفرصة، حتى انتهزها ليهرب إلى الأرض، ويقيم في الكهوف التي تقع في باطن مياه تيان هو. كما سكنت الأرواح الشريرة الأخرى ذلك المكان الواقع هناك، وهم يجمعون قواهم لإحلال الكوارث والمآسي بالبشر في هذه المنطقة».

وعند سماعه لهذه القصة العجيبة تأثر سام شونج أيما تأثر،

Twitter: @ketab_n

فقد كان قلبه يعج بأرق مشاعر الحب والتعاطف لكافة الكائنات الحية، حتى صار اسمه معروفاً حتى في أوساط الفردوس الغربي البعيدة، وتحركت مشاعره بأشد الاستياء عندما فكر في تلك الطفولة البريئة التي تجري التضحية بها لأجل تلك الرغبات الدنيئة لذلك الشيطان الفاسد، واجتاحت المشاعر ذاتها تشياو وتشو، فتشاوروا فيما بينهم للوصول إلى أفضل الطرق التي يمكنهم اعتمادها لإنقاذ الصغيرين الذين قدر لهما ذلك المصير المحتوم في يوم الغد، وفي ذات الوقت الإطاحة بحكم ذلك الوحش فيتوقف إلى الأبد وتزول دولته وسلطانه على البشر.

وصرخ تشياو، الذي كان أكثر جرأة بين مرافقي سام شونج والذي فوضته الإلهة لحمايته، وقد برقت عيناه: «سوف أتمثل في شخصية الصبي، ويقوم تشو بتأدية دور الفتاة، ومعاً سنحارب ذلك الشيطان، ونطيح به ونقتله، وهكذا سوف نخلص الناس من حكمه الطاغي».

ثم التفت إلى الشيخ وقال له: «أحضر لي الطفلين، كي نراهما، وهكذا نضع خططنا المثالية لكي لا يتمكن الشيطان بشره من معرفتها أو إحباطها».

وفي دقائق معدودة، جيء بالطفلين إلى جدهما. وكان

Twitter: @ketab_n

الصبي قي السابعة في حين كانت الفتاة أكبر منه بعام واحد فقط. وكانا متوترين خجولين وتعلقا بشدة بالشيخ كأنهما يلتمسان حمايته.

وكانت مراقبة صفات الطفلين عملية مثيرة للغاية، فقد كان الصبي فخورًا وشجاعًا، وهو ما تبين من وضعية رأسه فيما كان يحملق في الأغراب. ومن نظراته، يمكن للمرء أن يستشف أنه سيصبح يومًا ما رجلاً عظيم الشأن، ذلك أن وجهه كان يحمل علامات حياة تخرج عن إطار المعتاد. أما الفتاة، فكانت ضئلة خجولة، تتميز بشعرها المرفوع لأعلى على نحو طفولي يناسبها تمامًا، ومن خلال مشاعر الخجل التي تميز جنسها أخذت ترمق بعينيها اللوزيتين الرجال الثلاثة الشاخصين نحوها. أما شفتاها فقد كانتا قد مستا لتوهما بمسحة بسيطة من اللون القرمزي قبل أن تغادر الفتاة جوار أمها.

قال تشياو للطفل الصغير: «الآن يا صغيري ثبت عينيك علي للحظة ولا تبعدهما عني ولو للحظة واحدة»، ثم قال وهو يخاطب الفتاة، «وأنت أيتها الصغيرة، افعلي الشيء ذاته مع الرجل الذي يقف إلى جواري وسوف تريان شيئاً مضحكاً».

وامتثل الطفلان لأوامر الرجل ونفذاها بالحرف الواحد وثبت

Twitter: @ketab_n

كل منهما ناظريه على الرجلين، وتسللت نظرة دهشة فجأة على وجهيهما. ولا عجب في ذلك فقد نظرا إلى الرجلين وهم يتحولان بسرعة ويصبحان أصغر فأصغر حتى أصبحا في مثل حجمهما وصورتهما، حتى أدق الملامح والملابس وكافة التفاصيل الصغيرة، فلقد تحولا في ثوان معدودة إلى نسخة من الطفلين تماماً، وهنا عقدت المفاجأة لساني الطفلين وفغرا فاهيهما من شدة الدهشة من هذا التغير السحري الذي وقع أمامهما لتوه.

وعندئذ قال تشياو للشيخ: «الآن ها قد اكتملت عملية التحول، خذ الطفلين بعيدًا وخبئهما في أبعد غرفة لا يمكن الوصول إليها في منزلك. ولا تدع أي سيدة ثرثارة أو أي خادمة قد تكشف سرنا أن تراهما، حتى لا يصل الأمر بوجه أو بآخر إلى مسامع الشيطان، فلنحترس منه. وتذكر أنه منذ هذه اللحظة لا يفترض أن الصغيرين موجودين، وإنما يفترض أننا حفيداك اللذان سيؤخذان إلى المعبد في صباح الغد مع طلوع النهار».

ومع ظهور أول بادرة من بوادر بزوغ الشمس في السماء، ومع أول شعاع من أشعتها الذهبية التي تسللت في وجل في محاولة حثيثة منها لتبديد ظلمة الليل وانقشاع عتمته، أحضر كرسيين إلى الباب لحمل الضحيتين لكي يتم تقديمهما كقربان

Twitter: @ketab_n

للشيطان. واسترق بعض الجيران المرتعدين خوفًا النظر إلى الأطفال من خلال ذلك الضوء الخافت، إلا أن أيًا منهم لم يشك قطّ في أن هذين الصغيرين ما هما إلا جنيان كانا على وشك شن معركة شرسة ومميتة على الشيطان لإنقاذ الطفلين من تلك اللعنة التي لحقت بهما.

وما إن وضع الطفلان داخل المعبد حتى انقشع ذلك الضوء الخافت وظهر ضوء ساطع، وسمع دويّ أغلق معه الباب، حتى فر حاملو الكرسيين بعيدًا خوفًا على حياتيهما.

وبعد لحظة، ظهرت هيئة مخيفة وهائلة الحجم من غرفة داخلية تقدمت نحو الطفلين. ولقد هال الشيطان ما رأى من عدم ظهور أي من علامات الخوف على ضحيتيه الصغيرتين، كما يكون الحال دومًا، فلقد بدا أنهما ينتظران اقترابه منهما في هدوء. ولم تظهر عليهما بوادر الخوف أو أعراض الهلع، ولم يصرخا من الرعب طلباً للرحمة، وإنما نظرا إليه فيما كان يتقدم نحوهما وهما لا يهابانه وقد شخصا نحوه.

وتردد الشيطان للحظة، كما لو كان يقوم بتقييم ذلك العدو الذي بدا أن الخوف قد تسلل إلى نفسه منه والذي قد يكون متخفيًا في صورة الصبي والفتاة الواقفين أمامه. وتطاير الشرر من

Twitter: @ketab_n

عين الشيطان غضبًا وهو يرى الصغيرين يتمددان ويتحولان إلى كائنات في مثل قوته وجبروته. وأدرك على الفور أنهما يفوقانه قوة، وأنه سيكون عليه الآن خوض معركة للنجاة بحياته، ولذا فقد استلّ سيفًا هائلاً كان يحرص دوماً على وجوده معه، وهرع نحو الاثنين اللذين قابلاه بهدوء تام وبثقة شديدة بالنفس تظهر وضوح الشمس في وجهيهما.

ومما لا شك فيه أن تشياو وتشو كانا على أتم الاستعداد لذلك العراك، فهما مدججان بالسلاح، كما أن قلبيهما يزدادان قوة وثباتاً من خلال إدراك عدالة القضية التي يحاربان في سبيلها، ولقد انتظرا اللحظة المناسبة للتخلص من هذا الشيطان الآثم.

ويا لها من معركة تلك التي وقعت في ذلك المعبد حيث الضوء الباهت المعتم، فلقد كان صراعًا عظيمًا، تم شنه من جانب للمساعدة على إنقاذ هذين الطفلين اللذين لا حيلة لهما، ومن الجانب الآخر لأحط الخطط التي يمكن للأرواح الشريرة أن تضعها. لقد كانت معركة مهيبة، لم يسمح فيها براحة ولا هوادة. وقد ترددت في أرجاء المعبد قرقعة الأسلحة والأصوات التي لم تعتد أذن البشر أن تسمعه، بالإضافة إلى الصيحات والتأوهات التي بدت تصدر من روح ضائعة، مع

Twitter: @ketab_n

انطلاق صيحات المتقاتلين المخيفة.

وفي النهاية رأى الشيطان الذي كان قد أصيب إصابات خطيرة، وعلى الرغم من قدرته على علاجها على الفور، أن الانتصار لن يكون حليفه وأن الحظ يقف ضد مشيئته. وعلى هذا الأساس فلقد حاول أن يستجمع شتات قوته ويهجم هجمة واحدة هادرة مستعيناً بقوة سيفه البتار، وصاح صيحة ملؤها الغضب والحنق الشيطانيين، إلا أن المقاتلين تصديا لكل محاولاته اليائسة الغاضبة بكل شجاعة مما بث اليأس في قلبه الجبان. وبعد أن أطلق صيحة يأس مدوية فر هاربًا من المعبد وهو يجر أذيال الخيبة، وقفز مباشرة في الماء الذي يتدفق حول جدرانه.

وكم كانت فرحة تشياو وتشو عظيمة عندما زفا إلى سام شونج نبأ انتصارهما العظيم على الشيطان. وكان يمكن سماع الضحكات والاحتفالات من كل بيوت القرية والتي تجمع فيها الرجال والنساء أمام منازلهم وعلى أطراف الأزقة الضيقة لتهنئة بعضهم بعضاً على ذلك النصر الذي تحقق لهم ولأطفالهم. فلقد اختفى خطر الشيطان للأبد، وألهب الشعور بالحرية رجال القرية، فألهمهم بأن يهرعوا بفطرتهم إلى المعبد الذي كان الشيطان يتخذ منه مأوى له، وفي ساعات معدودة، كان أهل القرية قد تمكنوا من محو كل أثر لهذا

Twitter: @ketab_n

المعبد، وأزالوا من الوجود أي علامة تدل عليه، وأصروا على أن تختفي أنقاضه تحت المياه التي قفز الشيطان فيها.

وبعد هزيمته المنكرة، شقت روح الشيطان التي أصابها الارتباك طريقها إلى الكهوف الموجودة تحت الماء والتي كان يسكن فيها مع الشياطين الأخرى. وتم استدعاء المجلس العام لوضع خطط لمسح ذلك العار الذي لحق بهم ولاستعادة القوة التي راحت من قبضة الشيطان. كما رغب تجمعهم كذلك في زيارة سام شونج وإلحاق الأذى به والانتقام منه أولاً كي يصبح لا حيلة له في المستقبل.

وفي أثناء الاجتماع، قال أحد الشياطين، والذي يبدو المكر في عينيه ويسكن الشر في جنبات عقله، والذي عادة ما يقوم بدور المستشار لبقية الشياطين: «يجب أن نقبض عليه، لقد قيل لي إن التهام بعض لحمه يضمن لنا الأبدية والاستمرار لعيش حياتنا لأكثر من ألف عام».

ونال هذا الاقتراح الموافقة بالإجماع باعتباره حلاً عبقرياً، كما تم الاتفاق على إجراءات القبض عليه بعد مناقشات مطولة.

وفي صباح اليوم التالي، هبّت عاصفة ثلجية مروعة، فلم

Twitter: @ketab_n

تعد تظهر معالم النهر أو التلال المحيطة به، حتى السماء نفسها لم تعد ظاهرة مع تلك الرياح الثلجية التي تعمي الأبصار والتي هبت مع العاصفة. وبالتدريج ازداد الجو برودة حتى أحكم ملك الثلج قبضته على نهر تيان هو، وأحال النهر المتدفق، إلى طريق كريستالي، حتى وأنه يمكن للرجال السفر عليه بسهولة وأمان. وبالطبع فلم يكن أي من الأفراد الذين يعيشون على ضفة النهر قد شهد مثل هذا الموقف من قبل، وانطلق الجميع في تفسير وإطلاق العديد من التكهنات عن المعنى المحتمل لتلك الظاهرة والمصلحة التي ستعود على أولئك الذين يعيشون في ذلك الإقليم. ولم يدر بخلد أحد أن تلك العاصفة الثلجية الهائلة التي أحالت النهر الذي لم يتجمد من قبل وحولته إلى قطعة جليد متجمدة كانت من صنيع الشياطين الذين قرروا القضاء على سام شونج.

وفي اليوم التالي، هدأت العاصفة، ولكن النهر كان قد تحول إلى كتلة ثلجية برقت ولمعت تحت أشعة النهار. وهال سام شونج ورفيقاه رؤية عدد من الأشخاص يبدون من التجار على ضفة النهر بالإضافة إلى عدد من البغال المحملة بالبضائع. ويبدو أن المجموعة بأسرها كانت قد عقدت العزم على عبور النهر، والذي اختبروه في عدة مناطق للتأكد أنه قوي بما يكفي لتحمل أوزانهم. ويبدو أنهم كانوا راضين عن ذلك، ففي خلال وقت قصير، اتخذ الرجال والحيوانات

Twitter: @ketab_n

طريقًا لهم في رحلة لعبور الجليد.

وأصرّ سام شونج على الفور على السير على إثرهم، وعلى الرغم من معارضة القرويين الشديدة الذين توقعوا كافة أنواع المخاطر في حالة إقدامه على مثل هذه المغامرة المشكوك فيها وغير المحسوبة العواقب. ولكن ازداد شوق سام شونج لمواصلة الرحلة، فقد رأى أنه إن لم ينتهز فرصة وجود النهر على هذه الحالة فلن يتمكن قط من القيام بالرحلة، وهرع من فوره ليسير على خطى التجار، الذين كانوا قد قطعوا مسافة لا بأس بها على الجليد بالفعل.

ولربما كان حماس سام شونج للقيام بتلك المغامرة والسير في ذلك المسار المحفوف بالمخاطر ليقل ويفتر إن كان قد علم بأن التجار الذين بدت عليهم البراءة والذين سبقوه في هذا الطريق ما هم إلا شياطين، وقد تخفى كل واحد منهم وحول نفسه في صورة إنسان لإغراء سام شونج على إتباعهم ومن ثم تدميره.

ولم يكن سام شونج ورفيقاه قد قطعا ما يزيد عن خمسة أو ستة أميال عندما بدأت البوادر المشئومة التي تنبئ بحدوث كارثة في الظهور. فلقد توقفت البرودة الشديدة الموجودة في الهواء فجأة، وهبت ريح جنوبية دافئة. وعندها فقد سطح الجليد صلابته، وظهرت التشققات الجليدية على هيئة خطوط من المياه هنا وهناك، وشكلت بحيرات

Twitter: @ketab_n

كبيرة مما جعل من عملية السير فوقه تزداد صعوبة واستحالة.

وعندئذ ارتعد تشياو ذو العقل الراجح الفطن خوفًا من مظاهر الخطر، وخاصة مع ازدياد الجليد تشققاً، وأخذت الصرخات العالية الطويلة تصلهم من كل اتجاه. كما حدث أمر آخر غريب ألا هو الاختفاء المفاجئ لمجموعة التجار الذين كانوا بالقرب منهم. وعندها لم يساور الشك تشياو وأضحى مقتنعاً بوجود خطأ ما، ولذلك فقد تحسب تمامًا لوقوع أي أمر طارئ. ومن حسن الطالع أنه قد فعل ذلك، فقبل أن يتقدموا ميلاً واحدًا آخر، صار الثلج أرق، وقبل أن يتراجع الرحالة تشقق الثلج، وسقط ثلاثتهم في الماء.

وما إن وصلت قدما تشياو إلى النهر، حتى قام بمجهود خارق للطبيعة وقفز في الهواء، وما لبث أن طار بسرعة هائلة في اتجاه الفردوس الغربي، لاستدعاء إلهة الرحمة للمساعدة في إنقاذ سام شونج من أيدي العدو الذي سيقاتله بلا هوادة.

وفي أثناء ذلك حمل سام شونج وتشو برفق من قبل الشياطين، الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر نزولهما في الماء إلى الكهف الكبير، الذي يقع في أعماق النهر الثائر.

وبما أن تشو كان كائناً يتمتع بالخلود والأبدية، وكان مبعوثاً

Twitter: @ketab_n

خاصاً من الإلهة فقد تحدى كل محاولات وفنون الأرواح الشريرة التي حاولت أن تصيبه، و لم يستطيعوا أن يفعلوا معه شيئًا سوى أن يسجنوه في أحد الكهوف الداخلية وعينوا حارسًا عليه للحيلولة دون هربه. أما سام شونج فقد قدر له أن يموت، ولقد قرر الشيطان، انتقامًا للخزي الذي لحق به وأملاً في مد حياته ألف سنة، أن يقوم في صباح الغد بعمل مأدبة على لحمه. ولكن الشيطان وضع خططه دون أن يتحسب لحقيقة هامة وهي أن رجل مثل سام شونج كان محظياً لدى الإلهة التي لن تتردد في إسباغ نعمها عليه ومد يد المساعدة له في الأوقات الحرجة.

وفي أثناء الليل، وقعت اضطرابات هائلة، وتطايرت مياه النهر في كل اتجاه كما يحدث قبل هبوب الإعصار، وأضيئت الكهوف التي يمكث فيها الشياطين بضوء هائل أغشى أعينهم، وأصابهم العمى من ذلك الضوء الذي تسلل من كل جانب. وأخذت صيحاتهم تعلو من الرعب الذي أصابهم، وهربوا في كل اتجاه. و لم يبق منهم إلا واحد فقط وهو تلك الروح الشريرة التي أنزلت الأحزان والآلام بالناس المقيمين في الجوار. ولقد كان من الممكن أن يختفي هو الآخر لولا أن قوة خارقة للطبيعة كانت قد قررت أمره وقيدته بسلاسل في البقعة التي كان يقف فيها.

Twitter: @ketab_n

وبعد برهة ظهرت إلهة الرحمة بشكلها النبيل ومعها قطار رائع ملئ بعدد كبير من الجن الذين حلقوا في كل مكان حولها كي يفعلوا ما تأمرهم به. وكان أول ما فعلته هو إطلاق سراح سام شونج، الذي كان مقيدًا في انتظار ساعته التي سيقضي فيها نحبه، لولا تدخلها قبل ذلك ببضع ساعات. وأنيط بمجموعة من أتباعها العناية به وبرفيقيه وحملهم بأقصى سرعة عبر النهر.

وبعدها أصدرت الإلهة أوامرها إلى بعض الكائنات التي تحيط بها والواقفة إلى جوارها، وفي لمح البصر اختفى الشيطان المرتعد المنكمش وتم اقتياده إلى زنزانة لا يسجن فيها إلا كل من يمقت البشرية، ليظل بتلك الزنزانة حتى يتغير قلبه ويتحول إلى النقيض، فيمتلئ قلبه عندئذ بمشاعر رقيقة وتفيض روحه بالتعاطف مع آلام الإنسانية، وترى الإلهة أنه يمكن عندئذ العفو عنه وتحريره.

وعندها خفتت الأضواء، وتوقفت أصوات الجن. عادت مياه النهر التي كانت خاضعة للتميمة الإلهية لطبيعتها، وغادرت إلهة الرحمة بقطارها الرائع المملوء بالأرواح الخيرة والجن الطيب باتجاه مملكتها التي أقامتها في أقاصي الأطراف الممتدة للفردوس الغربي.

Twitter: @ketab_n

مكافأة الفضيلة

على ضفتي أحد الأنهار التي تتدفق عبر إقليم تينغشو، وقفت إحدى المدن التي يصل عدد سكانها إلى زهاء عشرة آلاف مواطن، وبين هذا العدد الكبير من السكان، كان هناك مجموعة قليلة جداً من الرجال الأثرياء يبلغ عددهم زهاء ستة أشخاص أو أكثر قليلاً وهم من يعتبرون أثرياء بحق.

ومن بين هؤلاء الرجال الذين امتلكوا ثروات طائلة، كان هناك رجل يدعى تشونغ والذي ذاع صيته بسبب طيبة قلبه الشديدة وكرمه البالغ ورغبته الملحة دوماً في مساعدة كل من يمر بظروف صعبة أو ضيق أو عسرة، فإذا شعر أي شخص بحاجة إلى المال والمساعدة، ما كان عليه سوى اللجوء إلى تشونغ وطلب العون منه، وعندئذ يقوم تشونغ على الفور بتلبية مطالبه والوفاء بالتزاماته وديونه من دون إجراء أي تحريات أو بحث عن ملابسات حالته أو الظروف التي يعيش فيها، وكما يتضح من ذلك، كان تشونغ رجلاً بسيطاً، حنوناً، طيب القلب وكان يميل دائماً إلى مساعدة الآخرين ويفضل ذلك على توجيه النقد اللاذع

Twitter: @ketab_n

لهم أو توبيخهم بسبب حماقاتهم أو جرائمهم وأعمالهم غير المسؤولة، ونتيجة لذلك، كان تشونغ واحداً من أشهر الرجال في هذه البقعة من الإمبراطورية الصينية.

وقد تركز كل اهتمام تشونغ على ابنه الوحيد كينغ الذي كان بمثابة قرة عينه، وفي الوقت الذي تبدأ فيه القصة، كان كينغ قد وصل إلى أعتاب الرجولة والشباب وأثبت نبل خلقه وتربيته الجيدة وبعده عن أي أعمال وضيعة، وقد اتضح ذلك من خلال تلك المرات العديدة التي خضع فيها كينغ للاختبار أمام مستشار الآداب، إذ حصلت أوراق إجابته على أعلى الدرجات والتقديرات فكانت من الأوراق المفضلة.

وقد سرت شائعات كثيرة عن كرم تشونغ وسخائه الواضحين فتخطت نطاق أحلامه، كما وصلت تقارير عن أعماله الصالحة النبيلة التي كان يقوم بها، بل ويحرص على أدائها باستمرار، للخالدين في الفردوس الغربي، وبما أنهم يختصون بشكل كبير بأفعال البشر، فقد بدأوا في اتخاذ إجراءات عديدة تؤكد جميعها الاتجاه إلى مكافأة تشونغ على أفعاله الطيبة.

وفي أحد الأيام، قدم جني أو أحد الأرواح التي أرسلتها الآلهة على تشونغ متخذاً شكل راهب، وقد كان تشونغ مولعاً

Twitter: @ketab_n

بالرجال الذين ينتمون إلى هذه الفئة الطيبة المقدسة، وكان يبدي دائماً إعجاباً شديداً بتقواهم وإخلاصهم وصلاحهم، وكان أيضا يتأثر جداً بإيثارهم الغير وإنكارهم ذواتهم اللذين يتضحان من خلال التخلي عن امتلاك المنازل والبيوت والأموال وتكريس حياتهم ووقتهم لخدمة الآلهة ولصالح البشرية فقط.

ولذلك، لم يكد الراهب يعبر باب غرفة تشونغ، حتى استقبله بمنتهى الود والحب والأدب، وفي المساء نفسه، أعد تشونغ عشاءً فخماً ودعا إليه عدد من الضيوف المتميزين فكان وقتاً رائعاً للاحتفال والشعور بالسعادة امتد حتى بزوغ الخيوط الأولى من الصباح الباكر.

وفي اليوم التالي قال تشونغ لضيوفه: «أفترض حضورك بالفعل لجمع التبرعات والنقود لهيكلك المقدس، ولا حاجة لي أن أؤكد لك أنني سأشعر بسعادة بالغة للمشاركة في أي شيء من شأنه مساعدة الآخرين وتقديم العون لهم في حياتهم وتحسين مستوى معيشتهم، فتبرعاتي دائماً جاهزة وفق رغبتك».

فأجاب الراهب بابتسامة مشرقة أضاءت محيا وجهه قائلاً إنه لم يأت بغرض جمع التبرعات.

ثم أضاف قائلاً: «لقد جئت لأحذرك من أمر أكثر أهمية من

Twitter: @ketab_n

شأنه التأثير عليك وعلى أسرتك في المستقبل، فبعد فترة من الزمن، سيقع فيضان هائل في هذه المنطقة وسيجتاح هذا الطوفان كل ما يقابله أمامه عند وقوعه فجأة، ولن تتاح الفرصة أمام السكان لاتخاذ الإجراءات الملائمة واللازمة للحفاظ على حياتهم أو أملاكهم - كما أن الأمر برمته لن يستغرق سوى لحظة واحدة ويتم اندفاع المياه الغزيرة كفيضانات المحيطات الشاسعة التي تنبع من الجبال في الغرب، ونصيحتي لك الآن هي اتخاذ الاحتياطات اللازمة لذلك والبدء في بناء قوارب لحملك وحمل أفراد أسرتك وأثمن الممتلكات التي تود الحفاظ عليها وحملها معك، وعندما تصلك أخبار ارتفاع منسوب المياه في الأنهار المحيطة لأول مرة، قم بإرساء هذه القوارب في الجدول القريب الذي يتدفق بالقرب من منزلك؛ وعند وقوع الأزمة وبدء الفيضان، لا تتوان لحظة واحدة وأسرع في ركوب هذه القوارب لإنقاذ حياتك وحياة أسرتك».

وعند سماعه لتلك الأخبار المروعة، شعر تشونغ بقلق بالغ وسأل الراهب: «متى سيكون ذلك الفيضان؟».

فأجابه الراهب: «ربما لن أكون قادراً على إطلاعك على اليوم أو الساعة المحددة لوقوع تلك الكارثة، ولكن كل ما يمكنني قوله الآن عندما تبدأ عيون تماثيل الأسود الحجرية الواقعة في الشارع

Twitter: @ketab_n

الشرقي من المدينة في ذرف دموع من الدماء، عليك إذن التحرك بمنتهى السرعة لإنقاذ نفسك وعائلتك وممتلكاتك والقفز في القوارب لترك هذا المكان الذي حكم عليه بالدمار والهلاك».

واستمع تشونغ إلى كلمات الراهب ثم وجه له سؤالاً آخر بينما يعتصر قلبه قدر كبير من الحزن والهم لمجرد التفكير بأن هذا الفيضان الشديد سيودى بحياة الكثيرين فيتسبب في هلاكهم وهلاك أقاربهم وأسرهم: «ألا ينبغي لي أن أحذر الآخرين من هذه الكارثة الوشيكة؟».

فأجابه الراهب: «بلى، يمكنك أن ترضي ضميرك وتحذر الناس من الفيضان الوشيك الذي سيؤدي إلى هلاكهم، غير أنك لن تجد من يصدقك، فمعظم سكان المنطقة فاسدين، وإيمانك بكلماتي وتحذيري لن يسببا لك سوى الحرج مع هؤلاء الناس الذين سيكتفون فقط بالسخرية من كلماتك وتحذيراتك». فسأله تشونغ في النهاية: «ولكن هل يتعين علي إذن الهرب مع أسرتي لإنقاذ أرواحنا؟».

فأجابه الراهب: «نعم، يتعين عليكم جميعاً الفرار من هذا الفيضان القاتل لإنقاذ أرواحكم والهروب من ذلك الخطر المحدق، ثم ستعودون في الوقت المناسب إلى منزلكم وتنعمون

Twitter: @ketab_n

بمستقبل مشرق وحياة رغدة، ولكن يبقى شيء واحد يجب أن أطلبه منك ألا وهو أن تلتزم الحرص والحذر الشديد تجاهه، عندما تنزل إلى قاربك ويحملك تيار الماء عند بدء الفيضان، تأكد من إنقاذ حياة أي كائن حي قد تقابله إذا وجدته يصارع الموت في الماء، وأؤكد لك أنك لن تقوم بذلك دون مقابل لأنك ستحصل على مكافأة كبيرة، فجميع الكائنات التي ستساعدها وتنقذها من الهلاك سترد معروفك بآلاف الأضعاف وستقدم لك أي خدمات قد تطلبها منها. كما أن هناك شيئاً أخيراً أود تحذيرك منه، ستقابل رجلاً يطفو على سطح الموج العاتي، اتركه لمصيره ولا تحاول تقديم أي عون له فلا ينبغي عليك مساعدته أو إنقاذه، وإذا حاولت إنقاذه، فلن تجلب سوى العناء والألم والحزن لنفسك ولأسرتك».

وبينما كان الراهب يستعد للمغادرة، حاول تشونغ شكره والتعبير عن امتنانه له فشد على يديه ووضع بداخلها حفنة معقولة من المال، غير أن الراهب رفض رفضاً قاطعاً باتاً تقاضي أجر عن مهمته، وقال إنه لا حاجة له إلى أموال تشونغ، فقد سمع الآلهة عن حب تشونغ الشديد لجميع الناس ورغبته التي لا تنقطع في تقديم العون لهم فأرسلوه إليه لتحذيره حتى يفر من الخطر المحدق

Twitter: @ketab_n

والمصير الأسود الذي سيقضي على السكان الآخرين.

وبعد مغادرة الراهب مباشرةً، استدعى تشونغ على الفور بعض الرجال العاملين في مجال بناء القوارب من أصحاب الأحواض التي تمتد بطول ضفة الجدول المائي، وأمرهم ببناء عشرة قوارب بأقصى سرعة ممكنة، فتناقلت المدينة هذه الأخبار، وعند السؤال عن الأسباب الخافية وراء ذلك كانت الإجابة دائماً إن بناء هذه القوارب يتم تحسباً لأحد الفيضانات القوية التي يتوقع وقوعها وتدميرها للمنطقة بأسرها، وهي الإجابة التي سخر منها الجميع؛ لكن تشونغ لم يبد أي اهتمام بتلك التصرفات، و لم يعلق على ضحكاتهم وسخريتهم، كما أنه لم يحاول تقديم مزيد من التفسير أو التعليق.

واستمر تشونغ لمدة أسابيع وشهور عديدة في إرسال رجل عجوز إلى الشارع الشرقي ليرى إذا ما فاضت عيون الأسود الحجرية بأنهار من الدماء.

وفي يوم ما، قام رجلان يعملان في جزارة بالاستعلام حول هذا الرجل والسبب وراء ظهوره كل يوم لتفحص عيون الأسود

Twitter: @ketab_n

الحجرية، وقد شرح الرجل ذلك قائلاً إن تشونغ يقوم بإرساله بعد أن وردت له نبوءة من الآلهة بوقوع أحد الفيضانات العاتية عندما تذرف عيون هذه الأسود أمواج من الدم، وهو الفيضان الذي سيدمر المدينة بأكملها ويهلك كل ما يأتي أمامه.

وعند سماع ذلك، قرر الجزاران ممازحة الرجل، وفي اليوم التالي، واستعداداً لقدوم العجوز، قام الرجلان بتلطيخ عيون الأسود بدم الخنازير، و لم يكد رسول تشونغ يرى ذلك المشهد الذي ملأه بالرعب والهلع، حتى جرى في الشوارع ليبلغ تشونغ هذه الأخبار المخيفة، وبحلول هذا الوقت، كان تشونغ قد انتهى من كافة استعداداته للفيضان وكان بانتظار مجيء اللحظة الحاسمة فحسب، وحمل أغلى ممتلكاته وأملاكه في بعض القوارب، وعند إعطائهم الإشارة، كان يتوجب على زوجته وابنه وبعض الخدم الذين يقيمون بالمنزل بالإسراع إلى النزول إلى القوارب؛ وعندما تذكر تشونغ تأكيد الراهب على عدم التأخير ولو للحظة واحدة، أعطى أوامره في الحال برفع المرساة وبدء الملاحون في الرحلة.

وأخذت القوارب في التحرك عندما بدأت الشمس التي كانت ترسل أشعتها الذهبية اللامعة ولهيبها في السماء تميل إلى

Twitter: @ketab_n

الانزواء والاختفاء وراء السحب، وبعد ذلك بلحظات قليلة هبت إحدى العواصف العاتية التي شابهت الإعصار في قوتها وسطوتها على أرض هذه المدينة، ليبدأ بعد ذلك سقوط أمطار غزيرة والتي لم تكن سوى نذير بالطوفان الذي سيجتاح البلدة.

وقبل مرور وقت طويل بدت السماء وكأنها تحتوي على عد كبير من الينابيع المائية والعيون التي فجرت ما بها من مياه، فبدأت السماء في إرسال الأمطار الغزيرة والفيضانات كسيل عنيف لا ينقطع، حتى إن جوانب الجبال قد اكتست بعشرات الآلاف من الغدائر والجداول المائية الصغيرة التي وحدت قواها معاً لتتخذ طريقها وتنحدر معاً إلى أسفل فتهبط على هيئة شلالات قوية حقيقية تندفع مسرعة إلى السهل المنخفض فتحدث زئيراً عالياً ودوياً مفزعاً يهز أركان السماوات والأرض.

وقبل انقضاء عدة ساعات، ارتفع منسوب الجداول المائية والأنهار الصغيرة عن مستوى ضفافها فجرت على نحو مسرع وغير منتظم بين القرى وتدفقت في شكل بحر هائج في اتجاه المدينة، و لم تكن هناك أي مقاومة يمكن إبداؤها أمام هذا العدوان المائي الغاشم، وقبل أن يرخي الليل سدوله ويحل الظلام الدامس غمرت هذه المياه جميع أركان المدينة تقريباً وغرقت حشود

Twitter: @ketab_n

هائلة من الناس في مياه الفيضان العنيفة التي لم يفر منها أحد بعد عدم قدرته على اتخاذ أي مأوى أو ملاذ منها.

وفي الوقت نفسه، تحرك الأسطول الصغير الخاص بتشونغ في أمان محمولاً فوق أكتاف التيارات المائية العنيفة المتلاطمة، مبتعداً أكثر فأكثر عن مصير المدينة المحتوم بالهلاك والدمار.

وقد ارتفع منسوب المياه عدة أقدام منذ أن بدأ أسطول تشونغ رحلته على صفحة الماء، وبينما صادف الركاب إحدى ذروات ارتفاع النهر التي اندفعت فيها المياه بعنف شديد لتضرب قيعان القوارب، كانت القوارب تتعرض لخطر شديد ناجم عن تلك الدوامات المائية والتلاطم السريع لأمواج النهر العاتية، وبمجرد نجاح الأسطول وركابه في إنقاذ أنفسهم والنجاة من براثن الغرق تحت سطح الماء، لاحظوا قرداً صغيراً يصارع الأمواج العنيفة فالتقطوه في القارب على الفور.

ومع المضي قدماً في الرحلة، وجد تشونغ وأسرته بعد وقت قليل فرعاً كبيراً من فروع الشجر وأبصروا فوقه عش غراب، يحتضن بداخله فرخاً صغيراً حديث الولادة، وقد وقع ذلك بينما كان تشونغ يتذكر وصية الراهب بإنقاذ كل يمكن إنقاذه من الكائنات الحية وسط الأمواج، فالتقطه الركاب وأنقذوا حياته

Twitter: @ketab_n

وجعلوا له مكاناً على سطح القارب.

وبينما انطلقت المراكب في طريقها عبر النهر المندفع وأمواجه المتلاطمة، اعترتهم دهشة واضحة عند رؤية جسم ما يصارع هذه الأمواج الغاضبة، وبتركيز النظر على هذا الجسم عن قرب، أدركوا أنه رجلاً يصارع الموت في خضم تلك المعركة المائية.

وفي تلك اللحظة، امتلأ قلب تشونغ الطيب بالتعاطف والرحمة وأصدر أوامره على الفور لقادة القوارب بالذهاب إلى الرجل وإنقاذه من الموت والغرق، بيد أن زوجته ذكرته بتحذير الراهب من إنقاذ أي رجل في النهر، لأنه قد يصبح عدواً له ويتسبب له بسوء كبير.

ولكن تشونغ أجابها مسرعاً: «في الوقت الذي يصارع فيه إنسان خطر الغرق، لا يجب أن تولى المصالح والمنفعة الشخصية أي اعتبار على الإطلاق». ولقد أطاع تشونغ أوامر الراهب التي تتعلق بإنقاذ أرواح الحيوانات من الموت بمنتهى الإخلاص، ولكن إلى أي حد تعد حياة الإنسان قيّمة مقارنة بأي كائنات أخرى؟ وعندئذ صاح تشونغ قائلاً: «أيا كانت النتيجة لا يمكنني ترك الرجل فريسة للغرق أمام عيني»، وبينما اقترب القارب من الرجل، اندفع مسرعاً وقذف نفسه بداخله ونجا من خطر الموت.

Twitter: @ketab_n

وبعد مرور أيام قليلة، عندما خمدت العاصفة وعاد النهر إلى وضعه الطبيعي ومجراه المعتاد، عاد تشونغ مع أسرته إلى بيته، واعترته دهشة بالغة حين وجد بيته قائماً كما كان قبل العاصفة من دون أن يصيبه أقل قدر من الضرر.

ويبدو أن الآلهة التي أمرت بإنقاذ حياته قد استخدمت قواها الخارقة لحماية ممتلكاته ومنزله من الدمار والخراب الذي لحق بجميع سكان المدينة والسهل المحيط بها.

وبعد استقرار تشونغ وأسرته في المنزل بفترة قليلة، حاول الاستفسار عن حال لو يونغ، وهو الرجل الذي أنقذه من الموت أثناء الطوفان، وما إذا كان يفضل العودة إلى أسرته ومنزله.

فقال لو يونغ وقد كسا الحزن وجهه واغرورقت عيناه بدموع غزيرة: «لم ينج أي فرد من أفراد أسرتي، لقد غرقوا جميعاً في أمواج الفيضان الهائجة التي أنقذت أنت حياتي من براثنها، وما تبقى لدي من ممتلكات بسيطة قد أصابها الدمار والخراب من جراء اندفاع الأمواج التي أغرقت مزرعتنا»، ثم توسل إليه لو يونغ قائلا: «دعني أبقى معك وامنحني الفرصة من خلال تكريس ما بقي من حياتي لخدمتك لرد ولو قدر بسيط من معروفك الذي أسديته لي بإنقاذ حياتي من الغرق».

Twitter: @ketab_n

وبمجرد أن أتم لو يونغ كلماته، تدفقت أنهار الدموع من عيني تشونغ وبدا التأثر الشديد على ملامح وجهه التي ارتسمت عليها علامات الحزن، فأكد له أنه لا حاجة له بعد اليوم للقلق والخوف من مستقبله قائلا: «لقد فقدت حقاً جميع أفراد أسرتك في الفيضان، ولكن من اليوم فصاعداً أصبحت ابناً لي، سأقوم بتبنيك وسأمنحك اسمي لتكون واحداً من أفراد هذه الأسرة».

وبعد ستة أشهر من تسوية هذا الأمر المهم، وضعت إعلانات في كل ركن من أكان المدينة تتضمن تصريحات من كبير القضاة فيها، يبلغ فيها السكان عن تلقيه مرسوم عاجل من الإمبراطور يعلن فيه عن اختفاء الخاتم الرسمي الذي يتم استخدامه دائماً في إتمام أهم صفقات البلاد على نحو غامض وعدم التمكن من العثور عليه بعد القيام بالبحث عنه، لذا تلقى أمراً بإبلاغ كافة السكان بأن من يعثر على الخاتم الرسمي ويبلغ الإمبراطور بمكانه حتى تتم استعادته، سيحصل على مكافأة قيمة وقد تتم ترقيته إلى منصب كبير القضاة في القصر الإمبراطوري.

وفي تلك الليلة بالتحديد، وبينما كان تشونغ غارقاً في سبات عميق، جاءه جني في الحلم، وقال له: «لقد أرسلتني الآلهة لتبرهن مرة أخرى عن تقديرها الشديد وحبها الكبير لك نتيجة

Twitter: @ketab_n

إخلاصك الواضح ورغبتك الدائمة في مساعدة الآخرين، ولقد أعلن الإمبراطور عن فقدان خاتم رسمي قيم يخشى عدم القدرة على العثور عليه أو استعادته، ووعد من يعثر عليه أو يدله على مكانه بمكافآت كبيرة وعطايا لا حصر لها، والآن سأخبرك بمكان هذا الخاتم، الذي يرقد الآن في أعماق البئر البلوري في الأرض المحيطة بالقصر الإمبراطوري، ولقد سقط عن طريق الخطأ من الإمبراطورة التي لا تتذكر أي شيء عن الحادث ولكنها ستذكر كل شيء في اللحظة التي سيتم تذكيرها بذلك فيها، لذلك، أطلب منك إرسال ابنك إلى العاصمة ليطالب بالمكافأة التي حددها الإمبراطور بعد إخبارهم عن مكان الخاتم الرسمي».

وعندما استيقظ تشونغ من نومه في الصباح الباكر، أخبر زوجته بما جرى أثناء نومه وبدأ في وضع الاستعدادات اللازمة لإرسال ابنه إلى العاصمة على الفور دون أي تأجيل أو تأخير، حتى يحصل على المكافآت والعطايا التي وعد بها الإمبراطور، بيد أن زوجته لم تكن راضية عن فكرة إرسال ابنه إلى هناك وعارضت ذهابه إلى العاصمة وحده بشدة.

فسألت تشونغ والدموع تملأ عينيها: «لماذا تصر على نيل المكافآت والعطايا وترضى بمنتهى السهولة عن البعد والافتراق

Twitter: @ketab_n

عن ابنك الوحيد الذي قد لا تتمكن من رؤيته مرة ثانية؟ أنت رجل ثري ومحبوب من جميع الآلهة، ولديك أموال طائلة يمكنك بها شراء كل ما ترنو إليه عيناك وتصبو إليه نفسك في هذه المملكة الرائعة، لماذا إذن لا تشعر بالرضا وتتوقف عن الرغبة في الحصول على المناصب الرفيعة والألقاب التي يمكن أن تمنحها لك الإمبراطورية، رغم أنها لن تضيف لك أي سعادة حقيقية؟».

وفي تلك اللحظة بالتحديد ظهر لو يونغ بعد سماعه هذه القصة المذهلة بالكامل، فتطوع بمحض إرادته للذهاب إلى العاصمة ومقابلة الشخص المسؤول أو الإمبراطور بدلاً من ابن السيد تشونغ بعد أن رأى الخوف والقلق الشديدين على محيا الأم.

وقال لو يونغ: «لم تسنح لي من قبل الفرصة للتعبير عن امتناني وشكري للشخص الكريم الذي أنقذ حياتي من براثن الموت وأغدق علي العديد من العطايا، ولكنني سأكون في منتهى السعادة لو أتحتما لي الفرصة للقيام بهذه الرحلة، إذ سألتقي في مقابلة رسمية الإمبراطور فأكشف له عن المكان الموجود فيه الخاتم الرسمي الضائع، ثم أصر على أن تنتقل كافة المكافآت

Twitter: @ketab_n

والنعم والمناصب التي سيغدقها علي إلى ابنك الوحيد الذي يحق له ذلك شرعاً».

وعلى ذلك، تم الانتهاء على الفور من كافة الترتيبات والاستعدادات التي بموجبها سيحل لو يونغ محل ابن السيد تشونغ في القيام بتلك الرحلة إلى العاصمة، وبينما كان لو يونغ يودع أباه الروحي، قال له تشونغ: «إذا نجحت في القيام بذلك وأمر الإمبراطور بترقيتك إلى منصب أحد القضاة الملكيين، لا تجعل الجحود يتسلل إلى أبواب قلبك فيحضك على نسياننا وتركنا، بينما سيكون فؤادنا منشغلاً عليك طوال سفرك بعيداً عنا».

وتعجب لو يونغ بشدة من حديث السيد تشونغ ولكنه أسرع قائلاً: «لا يمكن لذلك أن يحدث البتة، فامتناني لك محفور في أعماق قلبي وعقلي ولا يمكن اقتلاعه منه إلا بالموت».

وعند وصول لو يونغ إلى العاصمة، طلب على الفور مقابلة رئيس الوزراء الذي أمر فوراً بدخوله ومقابلته بمجرد علمه بأن شخص ما يريد لقائه في أمر عاجل يخص البلاد، وذكر لو يونغ على الفور أنه قد جاء إلى هنا وتكبد عناء الرحلة الطويلة ومشقتها ليكشف عن مكان اختفاء الخاتم الرسمي للبلاد. ثم قال: «إنني جاهز تماماً لإطلاعك على مكان الخاتم ولكن إن أمكن أفضل

Twitter: @ketab_n

الكشف عن مكانه للإمبراطور شخصياً».

رد رئيس الوزراء بحماس شديد في تلك اللحظة قائلاً: «يمكن الترتيب لذلك بسرعة، فسمو الإمبراطور متشوق جداً للحصول على أي معلومات تتعلق بمكان ذلك الخاتم المفقود، حتى أنه أصبح مستعداً في أي ساعة أو يوم أو ليلة لعقد مقابلة رسمية خاصة مع الشخص الذي يمكنه تبديد مخاوفه إزاء ضياع هذا الخاتم».

وما هي إلا دقائق قليلة، حتى دخل أحد أفراد طاقم الخدم بالقصر وأمر رئيس الوزراء بالحضور دون أي تأخير إلى صالة المقابلات الرسمية والانتظار فيها حتى يأتي أمر الإمبراطور، وكان يتعين عليه أن يجلب معه ذلك الشخص الذي أخبره عن وجود معلومات مهمة لديه عن الخاتم المفقود أمام صاحب العرش.

وعندما وصل الاثنان إلى المكان المقصود، وجدا نفسيهما في حضرة الإمبراطور والإمبراطورة، وانصياعاً لأوامر الإمبراطور، صرح لو يونغ على وجه السرعة بمكان الخاتم الذي طال البحث عنه في عدد قليل من الكلمات موضحاً كيف وصل الخاتم إلى هناك.

وبينما استمر لو يونغ في رواية القصة، أضاء وجه الإمبراطورة

Twitter: @ketab_n

بالدهشة واكتسى وجهها بابتسامة رقيقة، فقد أدركت صدق الرجل وصحة كل ما ذكره.

في الوقت نفسه قال الإمبراطور: «ولكن أخبرني كيف نما إلى علمك كل هذه المعلومات وكيف أصبحت عالماً وعلى دراية كبيرة بكل ما يدور داخل قصري؟».

فأجاب لو لونغ واصفاً كيف تأثر الأشخاص الخالدون في الفردوس الغربي بعمق بالشخصية الرائعة الطيبة للسيد تشونغ وكيف رغبوا في مكافأته وإغداق النعم والعطايا وأعلى المناصب على أسرته، فقاموا على الفور بإرسال جني إليه أثناء استغراقه في النوم العميق، والذي أخبره بمكان الخاتم المفقود.

عندئذ قال له الإمبراطور: «يجب أن يكون منزله من البيوت الممجدة في السماء بسبب الأعمال الطيبة الخيرية التي تصدر عن أصحابه لسائر الناس، حتى تأتيها أرواح من السماء البعيدة لتعبر عن استحسانها ورضاها عن أفعال هذه الأسرة، ووفاء بالوعد الذي قطعته، سأنعم عليك الآن بتعيينك في منصب رفيع سيمدك بالثراء والمجد طوال حياتك، لأنني أعتبر أن تعيين رجل ينتمي لمثل هذه الأسرة سيكون سبباً في

Twitter: @ketab_n

تحقيق الرخاء والازدهار لإمبراطوريتي، كما سيعينني على إدارة الشئون العامة».

ومنذ اللحظة التي أعلن فيها الإمبراطور قرار تعيين لو يونغ، تبددت كل ذرة من ذرات الشكر والامتنان التي كان يكنها في أعماق قلبه من قبل للسيد تشونغ حتى أنه قد محاه من ذاكرته وقلبه تماماً فلم يعد له أي مكان داخل نفسه، فقطع صلته تماماً بالبيت الذي مكث فيه لفترة بعد إنقاذه من الموت والذي غادره منذ أيام قليلة باتجاه العاصمة فمحاه من ذاكرته تماماً وابتعد عنه كأن تلك الأحداث الجسام التي مر بها هناك لم تحدث له قط من قبل.

وانقضت أسابيع وشهور عديدة، وانقطعت كل أخبار لو يونغ، وامتلأ قلب تشونغ حنقاً وغضباً لأنه أدرك أن ما قام به ذلك الرجل من سلوك غير سوي سيعود بالضرر على نفسه في المقام الأول.

فقرر تشونغ في النهاية إرسال ولده كينغ إلى العاصمة لعله يحصل على أي معلومات عما وقع للو يونغ، وبالفعل بعد الاستعداد لتلك الرحلة والقيام بها على وجه السرعة، وصل كينغ إلى العاصمة بعد عدة أيام برفقة بعض خدم والده، فأقام في أحد النزل الصغيرة وبعد أن سأل عما حل بلو يونغ، عرف

Twitter: @ketab_n

أنه قد أصبح كبير القضاة ويتمتع بمنصب مهم وبحظوة كبيرة في المدينة، كما يتمتع بحماية خاصة من الإمبراطور بعد أن أضحى الشخص المفضل لديه.

وبعد سماع هذه الأنباء السارة، اتجه كينغ على الفور برفقة أحد الخدم إلى المكان الذي يقيم فيه لو يونغ وصادفه الحظ حين التقاه وهو يترجل عن صهوة جواده عائداً من مقر عمله الرسمي بالإمبراطورية بصحبة عدد كبير من حاشية الملك والمسئولين والخدم.

وعندما رأى كينغ لو يونج عل جواده جرى نحو الجواد وصاح في فرحة واضحة: «آه! أخي، يا لها من مصادفة رائعة أن ألقاك مرة أخرى! إنني في غاية السعادة والبهجة لرؤيتك بصحة جيدة!».

وكما لو أن لو يونغ قد أصيب بصدمة كبيرة، قال عابساً في صوت ينم عن غضب شديد: «ماذا تعني أيها الفتى بكلمة أخي؟ أنا ليس لي أي إخوة، ما أنت إلا محتال ولابد من معاقبتك بشدة لتجرؤك على توجيه الحديث لي بهذا الشكل وادعاء صلة قرابة بي».

Twitter: @ketab_n

وعندئذ أمر لو يونغ أحد الخدم المساعدين ضمن الحاشية بضرب كينغ ووضعه داخل غياهب السجن مع إصدار أوامر زاجرة للسجان بمعاملته باعتباره من المجرمين الخطرين، وبعد تنفيذ تلك الأوامر تم اقتياد كينغ بعد الجروح العميقة التي أصيب بها والدماء التي نزفها جراء الإهانات والضرب والتعذيب الشديد الذي لاقاه على يد رجال الحاشية، والزج به في السجن، إذ ألقي بعيداً في أعمق زنزانة موجودة تحت الأرض وتُرك ليستعيد وعيه وصحته قدر الإمكان بعد الصدمة الكبيرة التي أصيب بها بسبب أفعال لو يونغ وأوامره ضده.

ووصلت حالة كينغ إلى مرحلة شديدة من الصعوبة، وكان من يمكنهم التخفيف عنه وعن آلامه في تلك اللحظة وهم أهله وأقاربه على مسافة ليست قريبة منه وعلى بعد أميال طويلة من موقعه، كما لم يتوقع كينغ قيام السجان بتخفيف آلامه أو حتى إبداء أي لمحة من لمحات التعاطف مع حالته، فقد أصبح قلب السجان قاسياً جداً كالحجارة لأن مثل هذه الوظيفة تكسب صاحبها القسوة والغلظة نظراً لاقتصار تعاملاته مع المجرمين فقط، كما أنه تلقى أوامر من المسؤول الرفيع لو يونغ، تفيد بمعاملة كينغ كأحد المجرمين الخطرين الذين يهددون المجتمع

Twitter: @ketab_n

وسلامته وأمنه، وحتى لو رق قلب السجان ومال إلى معاملته ببعض الرحمة، فإنه لن يجرؤ قطّ على مخالفة الأوامر الصريحة الصارمة التي تلقاها ممن هم أعلى منه في المنصب والمكانة.

وكانت وجبات السجن كافية فقط لبقاء جسد كينغ على قيد الحياة، و لم تتوفّر له أي نقود ليقدمها كرشوة للسجان لمنحه مزيداً من الطعام أو ما شابه، و لم يكن هناك أي ضمان على إمكانية رد أي نفقات زائدة إليه بعد خروج كينغ من السجن.

وفي تلك الأثناء، حدثت المعجزة، وتدخلت الأرواح التابعة للآلهة مرة أخرى في هذا الوقت لإنقاذ حياة الابن الوحيد للرجل الطيب الذي فاقت شهرة كرمه وسخائه الآفاق فبلغت الفردوس الغربي.

ففي يوم من الأيام، بينما كان يرقد كينغ منهكاً متعباً وعلامات الإعياء والجوع واضحة عليه بشدة في الصباح الباكر، قفز قرد على كومة القش السوداء التي كانت بمثابة سرير لكينغ داخل السجن، ثم تمسك بنافذة السجن الضيقة التي تتخللها أقطاب متوازية تكاد تنفذ منها بالكاد أشعة الشمس إلى هذه الغرفة المعتمة، وأمسك في يده الأخرى قطعة من اللحم قدمها لكينغ، فنهض الأخير مذهولاً محاولاً الإمساك بقطعة اللحم، وطغى

Twitter: @ketab_n

عليه شعور بالغ بالسعادة حين أدرك أن هذا القرد هو نفسه الذي التقطه هو وأسرته من الماء يوم وقوع الطوفان العظيم.

وتكرر المشهد عينه لعدة أيام على التوالي، وعندما اندهش السجان لما يراه يومياً وطلب من كينغ تفسيراً واضحاً لهذه الأحداث غير المعتادة، وعندها قدم له كينغ إيضاحاً تفصيلياً عن قيام الآلهة بإرسال الأرواح إلى أسرته والتقاط ذلك القرد وإنقاذ حياته من الغرق أثناء الفيضان وإنقاذ لو يونغ أيضاً، الذي يعتلي حالياً واحداً من أهم المناصب وأرقاها داخل الإمبراطورية فأساء استغلال سلطته وأمر بزجه في السجن.

واعترت السجان دهشة واضحة فنطق في صوت غير مسموع: «آه! تستطيع الحيوانات غير العاقلة التي تنتمي إلى ممالك وتصنيفات أقل من الإنسان من إبداء الامتنان ولا يستطيع الإنسان الراقي ذلك».

وبعد انقضاء عدة أيام أخرى، جاء رسول آخر لتقديم العون والمساعدة إلى كينغ، فقد تجمع عدد من الغربان فوق السطح المقابل لنافذة السجن الضيقة المشقوقة بقضبان رفيعة والتي يستطيع السجين من خلالها لمح السماء الزرقاء، وطار أحد الغربان لإفريز النافذة الخارجي وأدرك كينغ على الفور أنه

Twitter: @ketab_n

الغراب نفسه الذي قام وأسرته بإنقاذه من فوق فرع الشجرة أثناء الفيضان في خضم أمواج النهر المتلاطمة. وعندئذ اجتاحت كينغ فرحة غامرة وتوسل للسجان أن يسمح له بكتابة خطاب إلى والده يخبره فيه عن حالته المذرية. ووافق السجان على الفور وسمح له بكتابة الخطاب الذي تم ربطه جيداً في قدم الغراب الذي طار مسرعاً في رحلة طويلة حتى وصل إلى السيد تشونغ فأبلغه بهذه الأخبار المهمة.

وعندما وصلته الرسالة، شعر تشونغ بحزن وألم شديدين بعد قراءة رسالة ابنه التي علم منها أنه حبيس السجون، وقرر السفر بأقصى سرعة إلى العاصمة، وما إن وصل إلى هناك حتى قام بمحاولات عديدة لعله يستطيع مقابلة لو يونغ، ولكنه فشل فشلاً ذريعاً في تحقيق مبتغاه، أما بالنسبة للو يونغ فإن دناءة فعلته وخستها لم تمكناه يوماً من منحه الحاسة الداخلية التي يمكن أن تنبئه برؤية خيوط مصيره المحتوم وهي تلتف ببطء شديد حول رقبته فتتشابك وتتعقد لتقضي عليه تماماً.

ورغماً عن تشونغ، الذي ما زال يكن بعض الحب للو يونغ منذ أنقذه من الموت، قام بتقديم اتهام رسمي ضده أمام أشهر قاضي بالجنايات الصينية وهو القاضي ذائع الصيت باو كونغ.

Twitter: @ketab_n

وكانت نتيجة التحريات التي قام بها القاضي بشكل مكثف هي إدانة لو يونغ، والحكم عليه بالإعدام وتنفيذ الحكم في أسرع وقت، بينما حُرّر كينغ من سجنه ورقّي وتولى المنصب الذي شغله من قبل الرجل الذي حاول القضاء على كينغ وتدميره والتخلص منه دون جدوى وتم كل ذلك بمباركة الآلهة ورعايتها لابن تشونج، الرجل الطيب، وجزاءً له على فضائله الكثيرة وأهمها الكرم والتسامح مع كل البشر.

Twitter: @ketab_n

ISBN 978-9948-01-511-6

كلمة
KALIMA
أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة